
@ketab_n
12.1.2016
عن شيء اسمه
الحب...
أدهم شرقاوي
قس بن ساعدة
KALEMAT
الطبعة الثالثة

عن شيء اسمه الحب

نصوص

أدهم شرقاوي

قسّ بن ساعدة

٢٠١٤

تدقيق ومراجعة

ماجد مقبل

Twitter: @MajedAbdr
E-Mail: Mrawan242@hotmail.com



عن شيء اسمه الحب

• عن شيء اسمه الحب
• أدهم شرقاوي / قسّ بن ساعدة
• دار كلمات للنشر والتوزيع
• الطبعة الثالثة ٢٠١٥

دولة الكويت / محافظة العاصمة
تلفون : ٠٠٩٦٥٩٩١١٩٩٣٤
٠٠٩٦٥٩٩١١٩٩٨٦
تويتر : @Dar_kalemat
إنستجرام : Dar_kalemat
Dar_Kalemat@hotmail.com

للتواصل مع المؤلف : @adhamsharkawi
رسم الغلاف : نورة الزهراني : inOrh.art@gmail.com.

رقم الإيداع: ٢٢٩/ ٢٠١٥

ردمك: ISBN: 978-99966-45-70-9

الفهرس

الإهـداء

أرفع هذا الكتاب إلى . . .

خـديجة

الزوجـة والصـديقة والحبيبة

رسالة من المنفى

قميصِي كمَا هُو ،
قلبِيَ فقط على غِيابكِ قُدَّ مِنْ دُبرٍ!

دثرينِي إنِّي أرتجفُ ، صَقِيعٌ عُمْري بدُونِكِ ،
لقدْ باغتُّكِ هذِه المَرَّة وأخبَرتُكِ عن حَالِي قبلَ أنْ تُعَاجِلِينِي بالسُّؤالِ!
سَئِمتُ سُؤالكِ المَعْهُود كلَّمَا افترَقنا : كَيفَ أنتَ ؟
كمْ مرَّة عليّ أنْ أقولَ لكِ لقدْ تهَاويتُ قِطعَةً قطعَةً فلمْ يبقَ مني إلا أنتِ

.

.

أولُ الكَلامِ مِنكِ كانَ : كيفَ أنتَ ؟

لَماذا تخيّلتُ وقتها أنكِ تسْألينِي :
كيفَ تجِدُ بطشَ اللّوْنِ العَسَليِّ في عَينيَّ ؟!
وَدِدتُ يومَهَا لو قلتُ لكِ :
مَرِيضٌ بكِ ، وكلُّ من يمُرُّ بي يُصَابُ بعَدوَايَ ويُحِبكِ!
وَدِدتُ يومَهَا لوْ قلتُ لكِ كلاماً لا يقبَلُ التأوِيلَ كَـ«أحبك» ،
لا لأنَّ اللحَظَة مناسِبَة للبَوحِ ،
ولا لأنكِ جميلةٌ حَدَّ التَّداعِي ،
ولا لأنَّ صَوتكِ يُبعثرُنِي ككَوْمَةِ قَشٍ ،
بلْ لأني أحبك فِعْلاً . . .

كنتُ أخَافُ مِنْ سَطوَة اعترَافي لكِ ،
لأني أؤمِنُ أنَّ بعضَ الطُّرُقِ ذاتُ اتجَاهٍ واحِدٍ ،
وكانتْ تفزِعُنِي فِكْرةُ أنّه لا يمكِنُ الرُّجُوع قبْلكِ ،
أمَّا اليوم فأنتِ بعِيدةٌ بمَا يكفِي لأعْترِفَ :
أنا الأبلهُ الذي أحبك مُنذ اللحْظةِ الأولى ولَمْ يعُدْ يهُمّه اليَومَ أنْ يُخفِيَ بلاهَته ،
المَجنُون بكِ مُنذ أوَّلِ همْسٍ ،
والقائِلُ اليَومَ «هَلْ مِنْ مَزيدٍ» ،

أنا الطريدُ الشَّريدُ بدونكِ ،

الخَائبُ بلا يدكِ ترْسُمُ حُدُودَ وَجهِي ،

الفَارِغُ منْ صَوتِكِ وقدْ خَلَتْ لحظاتُ عُمْرِي مِنْه ،

المُنْكَسِرُ كزُجَاجٍ صفَعَتْهُ الرِّيحُ ولَيس هُناكَ من يُدافعُ عَنه ،

المَريضُ غَادرَتْه عُلبَةُ الدَّوَاءِ ،

الخَاوِيَةُ سَلَّتُه . . لا مِنْ تُفاحٍ يَسْقطُ حينَ يملُّ مِنَ الشَّجَرِ ،

بلْ مِنْ نُجُومٍ تأوي إليهِ لأنكِ مَعَه ،

تَسَرَّعُوا حينَ قالُوا أنَّ للأرضِ جَاذبية ،

الأرضُ تدُورُ فقطْ ، أمَّا الجَاذِبيةُ فلُعْبَتكِ!

كيفَ أنتَ

تَخرُجُ مِنْ فمكِ بصِيغَةِ : أراكَ لمْ تنكَسِر بعْد!

لحْظَتَذاكَ ، أعَضُّ على كِبريائِي ،

وأعتبرُ أنَّ سؤالكِ كَانَ بَريئاً وعَابِراً ومُنتمياً للسِّياقاتِ العَاديَّةِ

التي لا تخْرُجُ فيهَا الكَلِمَاتُ عن ظَواهِرِ الحُرُوفِ ،

وأنَّ كلمَاتكِ لا تُهَيِّءُ لتنويمٍ مِغناطِيسِيٍّ ،
ولَيْستْ مُحَاولةَ إغراقٍ كمَا تفعَلُ التياراتُ البَحريَّة بالحَمْقى
الذينَ يظنُّونَ أنَّ بينَهُمْ وبينَ الغَرَقِ مَسَافةً مِنَ المَاءِ لا بُدَّ أنْ
يجتَازُوهَا مُختَارينَ!

مَنطِقُ الحُبِّ كمَنطِقِ البَحْرِ تماماً بلا مَنطِقْ!

.

ليْسَتِ الحَافَّة التي نرَاهَا عندَ آخرِ المُسْتطِيلِ الأزرَقِ سِوَى خِدْعَةٍ
بَصَرِيَّةٍ ،
الوَاقِفُونَ على البرِّ يخطِئون دوْماً في قراءَةِ المَوجِ ،
لا يمْكنُ الوُصُولُ للحَافَّةِ البَعِيدَةِ ،
لأنَّها ليْسَتْ مَوجُودَةً أصْلاً ،

إنَّهَا صَنيعَةُ حَواسِنا المَحْدُودَة ،
نحنُ الذين نُصِرُّ دَوْماً على التعَامُلِ مع البَحْرِ بمَنْطِقِ البَرِّ!
نحنُ الذينَ نُؤمِنُ أنَّ لكُلِّ شَيءٍ حَافَّة ،
نحنُ نَصْنعها ونؤمِنُ بِهَا ، ثُمَّ نَقَعُ عنْهَا ونتكَسَّر ،
البِحَارُ بلا حَوَافٍ يا معشَرَ البَر ،
المَاءُ يُعانِقُ المَاء ،
والأسْمَاكُ لا تحملُ جوازاتِ سَفرٍ ،
وليْست هناكَ إشَارات مُرُورٍ ،
البَحْرُ لا يُشْبِه البَرَّ أبداً .

وَحْدَهَا القلُوبُ تجِيدُ اجتِيَاز المَسَاحَاتِ / المَسَافَاتِ الزَّرقَاءَ ،
وَحْدَهَا القلُوبُ تعْرِفُ أنَّها بالنبضِ يُمْكِنُها تجاوزُ الحَوَافَّ التي أوهَمُونا بوجُودِها ،
فقطْ عليهَا أنْ تتحلى بمنطقِ الأشْرِعَةِ التي لا تخَافُ من البَللِ ،
أمَّا الأشْجَارُ المُسَمَّرَةِ على الرَّصِيفِ قربَ البَحْرِ فلا يُوجَدُ في

كُتُبِهَا حرفٌ بَحْرِيٌّ واحِدٌ
فالمَسْألَةُ لا تتعلقُ بالمسَافَةِ بلْ بالقَنَاعة!

.

كيفَ أنتَ ؟
الأسْئِلةُ الصّادِرَةُ عَنْ كَائنٍ بَرِيءٍ لا تعنِي بالضّرُورَةِ أنّهَا أسْئِلةٌ بريئَةٌ

الحُبُّ يجْعَلُ المَرْأةَ أكثرَ دَهَاءً ، والرَّجُلَ أكثر حُمْقاً!
وفيمَا تسْتَمْتِعِينَ أنتِ بمُمَارسَةِ دهائِك أحَاولُ أنا أنْ أرممَ حَمَاقتِي!

يُحِبُّ الرَّجُلُ لترميمِ شيءٍ مَكْسُورٍ فيه
متناسِياً عَمْداً أنّ شَظيةَ حُبٍّ هِيَ التي صَنعَتْ كلَّ هذا التنَاثرِ الذي يَكْتنفه ،
أيُّ جُنونٍ هذا حِينَ يُطالِبُ الغريقُ بحَقِّهِ بكُوبِ مَاءٍ إضَافيٍّ!

لا رغبةً في جَمْعِ الأشْيَاءِ المُتناثِرةِ تحُبُّ المَرأةُ ،
بل لتثبتَ لنفسِهَا أوَّلاً ،
وللكَوْنِ ثانياً ،
أنها فاتنَة وتسْتَحِقُّ الاستِحْواذَ على قلْبِ رجُلٍ!
متناسِيةً أنّ الرَّجُلَ لا يُمْكِنُ أنْ يُفتنَ بامرأةٍ مَا لَمْ تُنْسِه أسْبَابَ تنَاثراتِه السّابقةِ!

.

لَماذا تسْألينِي عن حالِي وأنتِ التي حينَ عبَرَتِني حَافِيةً نزَفتِ على أشْلائِي ،
ألمْ يكُنْ مشهدُ الدِّمَاءِ على بقايا الزُّجَاجِ المَكْسُور إجابةً كافية؟!

تريدينِي أنْ أتكلَّمَ ،
وأنا دَوْمَاً أتكِئُ على صَمتِي
لأن تاريخَ علمِ الآثَارِ لَمْ يذكُـرْ مـرّةً أنّ مُـومـيَـاءَ خَـرجَتْ عن
صمتها
وقالتْ : رموني!
وخْدَهُم يرَمُونَها دُونَ حَاجَةٍ مِنْهَا للبَوحِ ،
المُومـيَاءاتُ تعْـرِفُ أنّ الحفـارينَ يُعمِلونَ معَـاوِلهُم مَدفُـوعينَ من
غريزَتِهِم لإعادةِ الأشْياءِ كمَا كانتْ عليه .
لو سَألَتنِي كيفَ تريدُ أن تكُونَ لوَفّرْتِ على نفسِكِ عناءَ انتظَارِ
الإجَابَة ، ووَفرتِ عليَّ عناءَ صِياغتِهَا .
أمّا أنْ تسْألينِي كيفَ أنتَ ،
قبلَ أن تنزِعي قطعةَ زجُاجٍ علقتْ بقدميكِ لحظَة تِجْوَالٍ فيَّ ،
فيلزَمُنِي احتضَارٌ لأخبركِ!

.

.

حَسناً إني أحْتَضَر : لقدْ اشتقتُ إليك

كيفَ أنتَ ؟

ما زِلتُ أتنفَسُ بشَكْلٍ يشِي أنني حيّ!

تخيَّلِي من فرْطِ التَرفِ قررتُ أن أكتبَ إليك ،

فمنذُ زمَنٍ لَمْ أفعلْ!

ربَما قـراءة وجهكِ بشَكْلٍ يومِيٍّ هي التي تُنسِينِي أن أفـزَعَ إلى دفاتِرِي بحثاً عنكِ!

لأكتُبَ لامرأةٍ بَحْرِيّةٍ كلّ مَا فيها يُغري بالغرقِ يلزمُنِي مسَاحةٌ من اليابسَةِ للاحتماءِ من ضَغطِ الماءِ

وحِبرٌ يليقُ بالسّفنِ المشْدودَةِ قَهْرَاً إليك ،

وورقٌ غيرَ الذي أكتبُ علَيه كلَّ يوْمٍ ،

ويدٌ أُخْرَى . . .

لامرأةٍ لا تتكررُ كلَّ يومٍ لا بُدَّ لي من اجتراحِ لُغةٍ جدِيدَةٍ قادِرةٍ على العوم ،

لا بدَّ لي من نسيانِ أبجديتِي البَرِّية

وتطويرِ أبجديّةٍ مائيّة بلونِ الغروب ،
ورائحةِ أعشَابِ البحر!

لامرأةٍ تجعلُ للماءِ طعماً ، ولوناً ، ورائحةً ،
يلزمُنِي أدَواتُ كـتـابَةٍ أُخـرى على افـتِـراضِ أنّه يمكنُ ترويضُ البحرِ بقصيدة ،

كنتُ أظنُّكِ صَنيعةَ الفَرقِ في التوقيتِ بين المَاءِ واليابسَةِ ،
وأنّ الموجَ ألقاكِ
فتعلقتِ بثيابِي لأنّي كنتُ عابراً صُدفةً بين توقيتين!
فاكتشفَتُ ذات خديعةٍ أنّكِ كنتِ تحفظينَ مواعيدَ مُرورِي ،
وتحسبينَ بدقةٍ المسَافةَ الفاصِلة بين خُطوتين من خطَواتِي ،
وقبل أن أضعَ قدمَي أرضاً قلتِ لي :
احذَرْ أنْ تدُوسَ قلبَكَ ، دفنتُه في يديَّ ، خبأتُه عن كلّ شَيءٍ ،
وهو في مَأمَنٍ إلا منكَ!
لامرأةٍ كأنتِ تتأرجحُ على بندولِ السَّاعة
وتجيدُ السّيطرة على منافذِ الوقت ،
لكِ يلزمُنِي حرُوفٌ جديدة ،

فالحروفُ مِنَ الألفِ إلى اليَاءِ لا تكفِي لإتمامِ طقوسِ المدّ والجَزرِ!

.

كيفَ أنتَ ؟

أنا كمَا البارحَة كمَا صَبيحَة اليَومِ التالِي فارغٌ منكِ

وأحنُّ إلى أشْيائِنا الصَّغيرة

إلى الثلاثةِ الصِغَارِ الذينَ أنجبنَاهُم ونحنُ نعبُر الطريقَ الفاصِلةَ بينَ قلبين

فأحببتُهُم لأنَّهُم بُضْعَةٌ منكِ

إلى مراكبَ ورقيةٍ تصْنَعينَها وأنتِ جالسَة جنبِي وأنا أكتبُ

أتخيّلُ أنّها صَالحَة للإبحَارِ فأركبُ بهَا مطمئناً أنْ لا موجَ قادِرٌ على هَزيمتِي

إلى عطركِ تسْكَرُ منه جدرانُ البيْتِ

وتترنحُ . . فيُوشِكُ السَّقفُ أن يهويَ علينَا

إلى قهْوتِنا الصَّباحيةِ على الشُّرفةِ ،

نسيتُ أنْ أخبرَكِ أنَّهَا فقدتْ أصَالةَ بُنِّهَا على غيابكِ

إلى ثوبِ الصَّلاةِ هجَرَتْه التقيَّة

إلى المصحَفِ الذي أهديتكِ إيَّاهُ فأمازحُكِ :

اقرئي أنتِ وأنا آخذُ حسناتٍ

إلى الفنجانِ الكبيرِ المتبقِي من اثنينِ اشترينَاهُمَا معاً

فلا نعرفُ فنجانُ من انكسَرَ

فنتشَاجرُ عليه كالصِّغارِ فنشْرَبْه معَاً

ونتركُ الصَّغيرَ يشْتاقُ لكِ

إلى اسْمكِ ،

أنادي خديجة ،

فتتوهمينَ أني أناديكِ ثم يظهَرُ لكِ أني أتنفسُ فقط!

إلى خمسَةِ أيام تسْبِقُ مجيئِكِ ،

سَأرجُمُهَا كلَّ فَرضِ صَلاةٍ بسبعِ حصَواتٍ ،

ثم سَأرجُمُ المسَّافة ،

ثم أرجُمُك ،

تباً لكِ ، كمْ أحبك!

ولكني لم أنكسر بعد!

هذا هوَ اليومُ الثَّاني على رحيلكِ . . .
لم يكْسِرني غِيابُكِ كمَا توقَّعْتِ . . .
فالمكسُور لا بدَّ أن يتنَاثرَ قِطعاً وها أنا قِطعَةٌ واحِدة!

مررتُ برسائِلكِ منذُ قليلٍ فلم يسقُط مني شَيءٌ
باعتبارِ أنَّ الدموعَ ليست شيئاً يستحقُ أن يُذكرَ
في رسالةٍ يفترضُ أن تكونَ مفعمةً بالكبرياء!

أعددتُ لنفسي فنجانَ قهوةٍ
واستمتعتُ بِه حتى القَطرةِ الأخِيرةِ
ولَّما انتهيتُ تذكَّرتُ بأني نسِيتُ أن أُضيفَ سُكَّراً
وأني شَربتُ القهوةَ على مزاجِك ولكني لم أنكسِرْ بَعد!

تذكَّرتُ أنَّكِ كُنتِ تحملينَ دفتري آخِرَ مَرة . . .

كالمجنونِ بحثتُ عنه . . .

مرَّرتُ أصابِعي فوقَ آثار أصَابِعك . . .

مِراراً فعلتُها كنتُ أروحُ وأجيءُ إلى أن نقلتُ بصَماتِكِ إلى أناملِي

فهل هذا دَليلٌ على أنِّي انكسرتُ ؟!

لا أنا لمْ أنكَسِر بعد!

كُوبكِ الذي شَهِدَ طقوسَ وداعِنا لم أغسِلهُ بعد

لأنِّي أردتُ شَاهداً يقنعُ الناسَ بموتي!

فكَّرت أن أتحامَقَ وأشربَ بِه . . .

كمَا تعرفينَ أنا أفعلُ كلَّ حماقةٍ أُفكِّر بها وهكذا كَان! . . .

كانَ أطيبَ شراب وردٍ تناولتُه في حياتي . . .

تلذذتُ به . . .

ولما فرغتُ تذكَّرت بأنَّه لم يكن سِوى كوبَ ماءٍ باركَتْهُ شَفتاكِ!

ولكني لم أنكسر بعد!

حَاولتُ أن أكتُبَ لكِ رسالةً فكتبتُ عَشْراً ومزَّقتُها . . .
كلُّها كانت تبدأُ بجملةٍ واحِدة . . .
كم اشتقتُ إليك!

تمدَّدتُ فوقَ سَريري وبدأتُ أُردِدُ كلَّ كلمةٍ قلتِها لي!
أتذكرينَ ذاتَ مسَاءٍ لمَّا قلتِ :
حدِّق في عينيَّ تتخلصُ من تَعبِكَ!؟
كَم كنتُ غَبياً حين صَدقتُكِ وفعلت!
مُتعبٌ أنا هذا المسَاءَ بدونِك فهل تسمحينَ لي بنظرةٍ أخيرة
؟ . . .
لا علاقَة لهذا الرَّجاء بقصَّةِ انكِساري
فأنا ما زِلتُ واقفاً على قدميَّ
وقانونُ الانكِسَار يقولُ :
الواقِفُ على قدميهِ لم ينكَسِر بعد!

كنتُ أُغمضُ عينَيَّ فأراكِ كما كنتِ هُنا آخر مرَّة! . . .
امرأةً أنيقَةً على شَكلِ قصيدة . . .
وكنتُ أحفظُ مفرداتِك . . .

كَلمةً كَلمةً أحفظُكِ . . .

ألفُ باءِ الكحلِ في عينيكِ أحفظُه . . .

ياءُ النداءِ من أعماقِ روحي لرمشٍ كلما رفَّ نزفتُ لصَدى رفَّتهِ

فتحتُ عَينيَّ لأن لعبة (الغميضَةِ) هذه لم تسَاعدني بقدرِ ما

فضَحتْ جوعي إليك . . .

هل في هذا الجوعِ انكسارٌ ؟!

لا أنا لم أنكَسر بعد!

فَزَعْتُ من طَيفكِ إلى دفترِ مِسودَّتي . . .

ولكنني ككلِ مرَّة أتحَامَقُ وأكتبُ لكِ . . .

وعنكِ . . .

بسرعةٍ مَحوتُ ما اقترفت يداي . . .

لعلّكِ عرفتِ الآن لماذا أكتبُ بقلمِ رَصَاص!

أتذكرين يوم قلتُ لكِ : إنَّ كل امرأة قبلكِ غياب؟

يومها ابتسمتِ ابتسامتكِ الشريرة وقلتِ لي :

وكل امرأة بعدي غِيابٌ . . .

أكنتِ تعـرفينَ وقـتَـهـا بأنِـي سَـأصِل إلـى هذا الحـدِّ من الجنونِ بكِ . . .

كيف لم أقرأ في ابتسامتكِ تلكَ حروفَ نعوَتي ؟!

أتُراني متُّ؟ . .

أنا ما زلتُ أتنفسُ . . .

وقلبي ينبضُ ؛ تفقَدتُه منذُ دَقيقة . . .

كلُّ مـا حَـدثَ أنَّ أيَامي بعـدَكِ صَـارت بلونٍ واحـدٍ بعـدَ غيابِكِ . . .

سوداءَ . . .

حتى حزني أسوَدٌ كلونِ عينيكِ!

غَريبٌ أني ما زلتُ أكتُبُ إليك وعنكِ . . .

أيُّ بَريدٍ مَجنونٍ سَيحملُ كلماتِي إليك ؟

حَنيني إليك اغترابٌ ولُقياكِ منفى!

وقَلبيَ قَصيدَةٌ كَتبتُها ذاتَ حَنينٍ . . .

رَميتُ الشَّوقَ على أبيَاتِها

وَلمْ أُخْفِ نَبضَاتٍ ما زالتْ عَالقةً في الدربِ إلى بيتِكِ . . .
في طريقٍ تَحفظُ إيقَاعَ خَطواتِي لكثرةِ ما مشيتُ إليك!

حتى حِينَ توصِدِينَ البابَ كنتُ أسيرُ هُنا . . .
أقِفُ على عتَبةِ بابِكِ وأتَمنى لو أنَّه لَمْ يكنْ موصَداً . . .
كنتُ أتمنى فقط ثم أعودُ كجَيشٍ مَهزوم . . .
على نفسِ الطريقِ التي تعرفُني وتعرفُ حَنيني إليك

غداً سأتي إليك . . .
لن أُكلمكِ . . .
لنْ أنظُرَ في عَينيكِ . . .
فقط سَأقرأ لكِ كلمات شَوقٍ لِعينيكِ لمْ أكتُبهَا بعد!

ولكنْ أخبريِني أَلَمْ يصللكِ انكساري بعد ؟
أنا أَلفُ انكسرت!

همسات

١

لا تغمسي قدميكِ في البحر كثيراً
فالسمكُ ليس مؤهلاً ليعيش في ماءٍ حلو!

٢

كان الرجال جمع مذكر سالم
فلما مررْتِ أمامهم صاروا جمع تكسير!

٣

حين أسمعهم يقولون : ما خفّ وزنه وغلا ثمنه
لا يخطر في بالي غيرك .

٤

قال العلماء : القمر يدور حول الأرض
ولو رأوكِ
لقالوا : القمر يدوس على الأرض

٥

لم أكن أعرف لما لا يستهويني قوس قزح
إلى أن التقيت بكِ
وجدتُ أن ليس فيه لون عينيكِ

٦

كل صباحٍ أقدّم للمرآة حبة بنادول وكوب ماء
لتخفف صداعها من وقوفكِ أمامها!

٧

عندما نحجّ معاً احذري أن ترشيني بماء وضوئك
لا يجوز للمُحرم أن يمسّ الطيب!

٨

وتحملين وردتين وتسأليني :
أي الوردتين أجمل ، التي في يميني أم في يساري
فأجيبك : الوردة في الوسط!

٩

أسمعهم يتحدثون عن حقوق النساء فأستغرب
أيوجد على ظهر الأرض امرأة غيركِ

١٠

الساعاتي لا يعرف ما خطب ساعتك
وأنا عبثاً أخبره أنّ العقارب التي تشم راحتك
يُرفع عنها القلم!

١١

كذبة نيسان هذا العام :

في العالم امرأة تشبهكِ

١٢

يظل الأسود لون حداد

إلى أن يكون لون ثيابك

١٣

ابتعدي عن المشط

شهية أنتِ

وهو له أسنان كثيرة

أخاف أن يأكلكِ

كـ بداية . .

حينَ تشـعـرُ برغبـةٍ دفـينةٍ في الموتِ جرِّب الموتَ حُـبّاً حـينَهـا ستحِبُّ الحيَاة!

كـ حكاية . .

كانَ عاماً من الموتِ اليَوميِّ اشتيَاقاً . . .
وكانَ صوتُها يوقِفُ ذلكَ الموتَ ، ولكنَّه حينَ ينقطعُ يرجعُ الشَّوقُ ضَارياً كمَا كَان . . .
كَان صوتُها زقزَقَتُه المفضَّلة ،
وحينَ تهمسُ لهُ : كَم اشتقتُ إليك ,
تصبحُ المسافةُ الفاصِلةُ بينهُما صِفراً . . .

أهناكَ صوتٌ قادرٌ على اختزالِ المسافاتِ حقاً ؟! . . .

صَوتُها كانَ يفعَل . . .

وكانَ قادراً على استعبَادِه . . .

أحقاً هناكَ صوتٌ له رائِحة ؟ . . .

تُجـــمعُ العلومُ أَنَّ الأَصـــواتَ كـــالمَاءِ لا طعمَ ، ولا لونَ ، ولا رائِحَة . . .

إذاً لَماذا كـانتْ الغـرفَـةُ تخـتنقُ برائِحَـةِ اليَـاسَـمينِ حينَ تنطِقُ بكلمتِها الأُولى المعهُودة :

كَم هي مُوحِشَةٌ الأَيامُ بدونِكَ

وكَانَ صوتُه يفتَرِسهَا تماماً .

وكانتْ تحبُّ أن تكونَ فريسَةَ صوتِه ،

فحينَ يأتِي تشعُرُ بأنَّ أُنوثتَهَا المؤجَّلةَ حانَ وقتُ انطلاقِها . . .

أهنَاكَ صوتٌ قَادرٌ على إخراجِ أُنوثَةِ امرأَةٍ من قَعرِ زُجَاجَة ؟! . . .

صوتُه كانَ يفعَل . . .

وكـانتْ إجاباتُه تحرِقـهَا رويداً رويداً كعـودِ بخُورٍ في حفلةِ ذِكـرٍ صـوفِيٍّ ليسَ بحـاجَـةٍ إلا إلى شَـرارةٌ ليحـصلَ على شـرعـيَّـةِ الشَّذى ،

ولقدْ كانَ صوتُه شَرارتهَا

- كيفَ حَالكَ ؟ كانتْ تقولُ له

- لم أُشْفَ منكِ بعد!

- أي كتابٍ تقرأ ؟

- عينيكِ!

كانَ يعذبهَا بذكاءٍ

وكانتْ هي امرأة مازوكية تعشقُ تعذيبَ الذاتِ والآخر فتسأله

- كم صفحةً قرأتَ ؟

- ما زلتُ في الصَّفحةِ الأُولى ؟

- ومتى ستنتقلُ إلى الصَّفحةِ الثَّانيةِ ؟

- حينَ أَعرفُ أَسماءَ الغرقَى هنَا قبلي!

- أنتَ غريقي المُفضَّل!

حينهَا كانَ يشعرُ برغبةٍ بوذيةٍ مجنونةٍ بإضرامِ النَّارِ بكلِ رجالِ الأَرضِ فكلٌّ من اشتهاهَا ولو بدونِ علمِها لا يستحقٌّ أَنْ يحيَا هذا ما كانتْ تفعلهُ الأَصواتُ على امتدادِ عامٍ مجنونٍ لمْ يكنْ يستردُّ رشدَه إلا حين تتعانقُ الحناجرِ العطشَى الَّتي كانتْ تزدادُ

عطشاً كلَّما شربتْ من قدحِ البوح . . .
وكانَ يقولُ لهَا أحبك كي يتخلَّصَ من صَدى خطواتِها التي
تعملُ على وقعِها كل أعضَائِه . . .
ولكنَّه كلَّما قال . . كشَّر الصدى عن أَسنانِه ،
وغرزها عميقاً في لحمِ ذاكرتِه
أَيُّ حُبٍ مجنونٍ هذا الذي لا تقولُه الكلمَات
وكانتْ تقولُ له أحبك كي تتخلصَ من مخاضِ الحبِّ الذي
أَصَابَها يوم قسمتهَا عيناهُ إلى أَربع قطع!
قطعة تتمنى لو أَنَّ الدنيَا كلّها لون عينيهِ . . .
وقطعة تسترجعُ طعمَ يدهِ حينَ كانتْ تتعانقُ اليدانِ فيمَا يُخيَّل
للحضورِ أَنَّها لم تكنْ غيرَ مصافحَة عابرةٍ . . .
وقطعة ثالثة تقرأُ كلَّ كلماتِه المجنونَةِ التي كان يكتبُها حينَ
يخرجُ لتوِّه من حُمى دقيقتينِ قضاهمَا في عينيهَا . . .
ولم تكنْ تعرفُ هل كلُّ النِّساءِ مثلها أَم أَنَّها المرأَة الوحيدةُ التي
تعشقُ كلماتٍ ولدتْ وماتتْ في عينيهَا . . .
وقطعةٌ رابعةٌ تقسمُ له أَنَّها تحبُه أَكثر من كلِّ القطع الباقيةِ!
كانتْ أَحلى لحظاتِ عمرِه حينَ يرجعُ آخر الليلِ إلى غرفتِه
ويخرِجُ صورتَها من بين الورودِ التي جفَّفها في دفاترِه . . .

لقـد كـانتْ ورودُها التي أَهدته إيَّاها على مـدى لقـاءاتٍ متقطعةٍ . . .

أَيُّ امرأَةٍ كانتْ تلكَ التي يحضُر الوردُ إذْ تحضُر!

وكانَ يحفظُ تاريخَ كلِّ وردةٍ . . .

لونَها . . .

شذاهَا . . .

والكلامَ الذي قِيلَ في حضرةِ كلِّ وردةٍ يعرفه فقد فصَّل ذاكرتَه على مقياسِ همسِها!

كانَ يؤمِنُ أَنَّ الكلماتِ لا بُدَّ لها من وحيٍ لتنطلقَ ، وأَنَّ الوحي لا يسكنُ إلاَّ في عيونِ امرأَةٍ خارقةِ الجمالِ مثلها . . .

فكانَ يمسكُ قلمَـه ويسلِم نفسَـه للوحيِ القـادمِ من عـينيـهَـا وببركاتِ الكُحلِ كانَ يكتبُ لها وعنهَا!

ولقدْ كانتْ حُبلى به . . .

كانتْ متخمةً بصدَى صوتِه . . .

برائحتِه . . .

بذكرياتِه . . .

بكلٍّ الكلماتِ التي قالَها والتي لم يقلْها . . .

وبقُبَلٍ ماتتْ قبلَ أَن تُولد . . .

ما أَجملَ القبلَ التي تموت . . .

إنَّها لا تندملُ . . .

إنَّها تنبعثُ عندَ أَوَّلِ قطرةِ مطرٍ آتيةٍ من غيمٍ لا منتظر . . .

القُبَلُ التي يُخيَّلُ أَنَّها ماتتْ هيَ التي ما تلبثُ أَن تسْتشرِسَ وتبتلعَ الآخر بهمجيةِ ثقب أَسودٍ لا يشبَع!

وكانت أحلى لحظاتِ عمرها أن تقرأ لهُ . . .

وبعدَ أن تقرأَ للمرةِ الألفِ وتغسلَ الكلماتِ بدموعِهَا كانتْ تشمُّ رائحةَ أصابعِهِ التي كانت تهتدي إليها بكلٍّ حواسِها فقد كانت رائحةً يستحيلُ أنْ تخنقَهَا رائحةُ الحبرِ!

كانت كلماتُهُ جيشاً همجياً مدججاً بالوردِ والنّدى وكان قلبُها مساحةً مفتوحةً للغزوِ دونَ مقاومةٍ وكانَ يعرفُ كيفَ يجتاحُهَا جيداً . .

قبلَ عينيها يظنُّ أنَّ أشهى ما يمكنُ تذوقَهُ صباحاً هو فنجانُ قهوةٍ ، ولكنَّ الساعةَ السابعةَ والنصفَ من ذلك اليوم غيرَتْ قناعاتِهِ ، وخربَتْ عليهِ ذوقَهُ ، وصارَ كلُّ نهارٍ لا يبدأُ برشفةِ تأملٍّ في فنجانِ عينيها هو نهارٌ كئيبٌ . . .

لقد أنساه جمالُ عينيْهَا تقاليدَ صَباحاتِهِ السابقةِ . . .

لَمْ يَعُدْ لِفنجانِ قهوتِهِ تقاليدُهُ وطقوسُهُ السابقةُ!

حتَّى حينَ كانَ يعُدُّ قهوتَهُ كانَ يُضِيفُ القهوةَ إلى الماءِ المغليِّ بجنونٍ فتُصبحُ سوداءَ كلوْنِ عينيْهَا . . .

وحينَ كانَ يجلسُ ليرْتشفَهَا كانَ يبحثُ عنْهَا في فِنجانِهِ . . .

ثُمَّ يخرُجُ كالمجنونِ إليْهَا لِتبارِكَ صباحَهُ . . .

كانَ كلُّ شيْءٍ في داخِلِه يَقولُ أنَّ حياتَهُ بعْدَ السابعةِ والنِّصْفِ لنْ تعودَ كَمَا كانَتْ قبْلَهَا ولقَدْ صَدقَتْ نبوءتَهُ . . .

وكانَ يتعمَّدُ أنْ ينْسَى أشيَاءهُ عنْدَهَا لأنَّهُ كانَ بحاجةٍ إلى ذريعةٍ مَا لِيرجعَ . . .

ولمْ يَكنْ قبْلَهَا يعرفُ أنَّ القتيلَ يعشقُ وجهَ قاتِلِهِ حتَّى الثِّمالةِ . . .

وأنَّ بعضَ القتلَى أغبياءٌ مثلَهُ وأنَّهمْ بحاجةٍ إلى أنْ يموتُوا ألفَ مرَّةٍ كيْ يقتنعُوا بأنَّهمْ ماتُوا!

لهذا كانَ يختلقُ ذريعةً ما . . .

يتحايلُ على تأشيرةِ عودةٍ إليهَا . . .

تماماً كمَا كانَ يتكاسلُ ليوناردو دافنشي في إنهاءِ الموناليزا كَيْ يعودَ إليهَا كلَّ صباحٍ لأنَّهُ لمْ يكنْ يجدْ أشهى منْ موتِهِ الصَّباحيِّ في عينيْهَا

ولقدْ نسِيَ مرَّةً أنْ ينسى أشياءَهُ عنْدهَا فسألَتْهُ

- ماذا نسيْتَ هذِهِ المرَّة ؟

- نسيْتُ قلبِي!

ومضَى . . . .

فكَّرَ ألا يعودَ إليهَا . . .

أنْ يسامحَها بالجزءِ الآخرِ منْ قلبِهِ . . .

الجزء الذي كانَ يجرُّهُ إليهَا ويلقيهِ في نارِ عينيْهَا بلذَّةِ فراشةٍ تُلقِي بنفسِهَا في وهْجِ المصباحِ فتستعذبُ حريقَهَا ، وتستمتعُ بالرَّمادِ المتطايِرِ منهَا . . .

هذا الجزءُ لمْ يعدْ يريدُهُ!

يكفيهِ الجزءُ الآخرُ الأحمقُ الذي ينبضُ باستمرارٍ فيجبِرُ الخلايا الأخرى على الحياةِ كيْ يفكرَ بها!

ولكنَّهُ حينَ استسلمَ للرُّقادِ هو تلكَ الليلةِ رآها على الضفّةِ الأخرى منَ الحُلم . . .

قالَ لهَا كلَّ الكلماتِ التي تمنَّى أنْ يقولَها لها ذاتَ يقظةٍ ولكنَّها كانتْ تختنقُ في حنجرتِهِ . . .

وقرأَ في عينيْها شعراً . . .

وحينَ استيقظَ صباحاً حاولَ أنْ ينامَ مرَّةً أخرى طمعاً في أنْ يُكملَ قصيدةً قطَعَها عليهِ ذلكَ الملعونُ الذي يسمونَه مُنبهاً . . .

أكانَ يحتاجُ إلى منبهٍ حقّاً ؟

إنَّ كلَّ خليةٍ في جسدِهِ كانتْ ستوقظُهُ كيْ يذهبَ إليهَا!

إذا لماذا تحامقَ ووثِقَ بعقاربَ بلهاء لا تكفُّ عن الحركةِ!؟

أعدَّ قهوتَهُ بتأنٍ رغمَ أنَّ قلبَهُ كانَ يجذبُهُ منْ ياقةِ قميصِهِ كيْ يذهبَ إليها!

وكانَ كلّما أضافَ البنَّ إلى الماءِ استرجعَ شيئاً من الكلماتِ التي قتلَتْها يقظةٌ جاءَتْ في اللّحظةِ الخطأ!

شربَ قهوتَهُ وهو يطالعُ مفكرتَهُ وينتظرُ منها أن تذكِّرَهُ بما يجبُ أن يفعلَهُ هذا النهار ، ولكنَّ المفكراتِ تنسى أيضاً ، فكلُّ ما كان في الصفحةِ عينيها . . .

أسودٌ قاتمٌ ، ومن بينِ عتمةٍ مكدسةٍ فوقَ عتمةٍ كان الوحيُ يخرجُ ويقولُ لَهُ : اكتبْ حبيبي إلي . . .

أغلقَ مفكرتَهُ ونسيَ أن يشربَ نصفَ فنجانِ القهوةِ الذي ملَّ منَ الانتظارِ وبردَ . . .

أغلقَ البابَ برفقٍ على غيرِ عادتِهِ ومشى إليها بجنونٍ على عادتِهِ .

قالَ لها : صباحُ الخيرِ ولا يعرفُ من أيّ جزءٍ من قلبِهِ خرجَتْ!
من الجزءِ الذي لديهِ أمْ من الجزءِ الذي لديها!
ولكنَّها كانت تعرفُ بحسٍّ الأنثى حين يُهاجمُها الحبُّ أنَّها خرجَت من الجزءِ الذي بين يديها . . .
من وهجِ المصباحِ

كيف حالُكَ ؟ سألَتْهُ
ما زلتِ تسألِيني كيف أنتَ . لقد تهاويْتُ قطعةً قطعةً فلمْ يبقَ مني إلا أنتِ .

حاولتْ ألا تنظرَ في عينيه فآخِر ما كان ينقصُها انكسارٌ صباحيّ ؛ ولكنَّ كلمةً خرجتْ منهُ خرقتْ جدارَ الصمتِ :

أحبك

أَخيراً قالها . . .
وأَخيراً خرجتْ تلكَ الكلمةُ المجنونةُ التي لا تقولُ شيئاً ممّا نُحسُّه ولكنَّ الحمقى الذين قبلنا استخدموها فقالَها ؛ وتباً لها

من كلمةٍ . . .

هو أكثر مَن يحبُها . . . يعشقُها . . . ومضى

أرادتْ أن تلحقَ بهِ . . .

أن تناديَ عليهِ . . .

أن تقولَ لهُ أيّها المجنونُ خذْني إليك . . .

ولكنَّها كانتْ في تلكَ اللحظةِ كعصفورٍ ذبيحٍ صادرُوا منهُ صوتَه ؛ ولكنَّ حدَ السكينِ ودماءَهُ النازفةَ لمْ تمنعْ جناحيهِ من التحليقِ عالياً!

تسمّرَتْ مكانَها حيثُ اختلطَتْ الدماءُ فلمْ يعدْ أحدٌ يعرفُ مَنْ ذبحَ مَن!

ومنذُ تلكَ اللحظةِ أُصيبَتْ بمرضِ الافتقادِ فقد كانتْ تفتقدُهُ حتَّى حينَ تنظرُ إليهِ . . .

كالمجنونةِ بحثتْ عن شيءٍ تعمَّدَ نسيانَهُ . . .

كانتْ واثقةً من أنّهُ سينسى شيئاً هذه المرّةَ لأنها كانتْ تعرفُ أنهُ خلعَ ذاكرتَهُ عندها في أوّلِ نظرةٍ عن قرب . . .

بعضُ عيونُ النساءِ قادرةٌ على خلع ذاكرةِ رجلٍ من مكانِها . . .

على شطبِ أسماءِ النساءِ اللواتي مررْنَ قبلَها . . .

على تجريدِهِ من كلّ تاريخِهِ العشقيّ وإلقائِه أميّاً مكسوراً كبقايا السفنِ الغارقة عندَ شاطئ اعتادَ بحرُهُ على ابتلاعِ السفنِ ولقدْ كانتْ بعينيها السوداوين منهم!

لقد نسيَ دفترَهُ!

هل نسيَهُ حقاً أم تناساهُ

لمْ تكنْ تهتمُّ فكلُّ ما كان يعنيها أنه سيعودُ إليها . . .

سيُسمِعُها تلكَ الكلمةَ مرةً اخرى . . .

وهذه المرةُ لن تقفَ مكتوفةَ العواطفِ . . .

ستقولُ لهُ بأَنَّ عينيه ليستا أكثرَ شفقةً من عينيها . . .

وأنها ذائبةٌ فيهما كما الملحُ في ماءِ البحرِ . . .

لقد ضاعَ الحدُّ الفاصلُ بين الماءِ والملحِ . . .

أين يبدأُ الماءُ ؟ أين ينتهي الملحُ ؟ لا أحدَ يعرفُ . . .

ولا أحدَ يهتمُّ بأن يعرفَ . . . .

الكلُّ يهتمُّ بالتركيبةِ العجيبةِ «البحر» ولقد كانتْ غريقتُهُ

وقررتْ الغريقةُ أن تبلعَ من ماءِ البحرِ أكثرَ . . .

قررَتْ أن تقرأَ الدفترَ المنسيَّ ومنذُ تلكَ اللحظةِ أُصيبتْ بمرضِ حروفِهِ

لا شيءَ أشهى من أنْ تقرأَ امرأةٌ كلماتٍ كتبتْ لها وحدَها . . .

كلماتٍ خرجَتْ من مخاضِ عينيها!
تمددَتْ على سريرِها وبيدٍ راعشةٍ لمستْ الدفترَ فكانتْ كمنْ يقتربُ من شيءٍ محرّم . . .
بتأنٍّ فتحتْهُ وعانقتْ عيناها لأوّلِ مرةٍ كلماتِهِ . . .
كانَ قدْ كتبَ في جلدةِ دفترِهِ إهداءً :

«إلى امرأةٍ تكرهُ كثرةَ الحروفِ حتى في اسمِها أرفعُ هذه الكلماتُ . . . »

إنّهُ يكتبُ لها . . فهيَ مَن أخبرَهُ يوماً بأنها تكرهُ كثرةَ الحروفِ وأكثرَ ما يعجبُها في اسمِها أنهُ ليس بالإمكان إضافةُ حرفٍ ثالثٍ إليهِ
ذهبَتْ إلى الصفحةِ الأولى بغريزةِ امرأةٍ تريدُ أن تقتلَ كل امرأةٍ تشاركُها اسمَها ؛ هو لها . . . لها وحدَها

طويلاً انتظرتُكِ هنا
على ضفّةِ القلبِ الأخرى
قلتُ لنفسِي اليومَ يتسعُ الوقتُ

غداً يتسعُ
ولكنّهُ كان يضيقُ

في تلك اللحظةِ كرهَتْ كلَّ ساعاتِ العالمِ وكلَّ ما يمكنُ أن يُذكرَها بالوقتِ . . . كرهَتْ القطاراتِ والمحطاتِ وكلَّ الأشياءِ التي لا تعرفُ أن تعيشَ بلا انتظار . . . ما الذي فعلتْهُ بهِ وبها . .؟

فكرتْ أن تتوقفَ ؛ ولكنَّ النساءَ يدفعْنَ أعمارَهنَّ لقراءةِ كلماتٍ كتبَها رجلٌ قبلَ أن يستفيقَ من غيبوبةٍ أدخلتْهُ بها نظرةٌ!
تسللتْ إلى الصفحةِ الأخرى . . . كانتْ كمنْ يمشي على أطرافِ أصابع . . . تُرى ما الذي كانتْ تخافُ أن توقظَهُ . . . كلماتهِ أمْ أنوثتِها!
أتذكرينَ ذاكَ الظرفَ المغلقَ الذي وصلَ إلى صُندوقِ بريدكِ مئةَ مرةٍ
خشيتِ أن تفتحيهِ
مئةُ مرةٍ . . . ولم تتخلي عن حذرِكِ
عن جُبنِكِ . . . .
لم يساوركِ الفضولُ مرةً

كرهتُ جُبنكِ

لهذا سأعترفُ

لقد كنتُ أنا المرسل

أتعلمين ما الرسالة ؟

قلبي . . .

مرةً اخرى عادَ ليوقظَ الكراهيةَ في صدرِها . . .

كم صارتْ تكرهُ صناديقَ البريدِ . . .

الرسائلَ المغلقةَ . . .

لماذا لا يصنفون الكلماتِ المفخخةَ بالوردِ والعطرِ والقبلَ التي لا تعرفُ موعدَ انطلاق في صندوقِ بريدٍ مجنونٍ تمنعُ الرسائلَ التافهةَ والرتيبةَ من الدخولِ اليهِ!

تابعتْ خطاها الحذرةَ . . .

على أطرافِ الأصابع مرةً اخرى . . .

على أطرافِ القلبِ كانتْ تمشي . . .

كانتْ تُخفي دقاتِهِ . . . .

تُرى عمنْ كانتْ تُخفي نبضاتِ قلبِها . . .

عن كلماتِهِ كي لا تشي بها أمْ عنْ نفسِها . . .

لأنَّها كانتْ تعرفُ أن المرأةَ غيرَ الرجلِ . . .

كانت تعرفُ أن المرأةَ حينَ تحبُّ تفقدُ القدرةَ على كلِّ شيءٍ إلا على الحبِّ . . .

وكانتْ تريدُ الاحتفاظَ بقدرتِها ولكنّهُ حرفاً حرفاً كانَ ينزعُها منها . . .

يدخلُ إليها مع ذراتِ الاوكسجينِ . . .

يعانقُ شبكيةَ عينيْها مع الضوءِ الآتي . . .

كانتْ تحاولُ أن تُغلقَ البابَ ولكنها كانتْ محاولاتٍ يائسةٍ ليسَ اكثرَ . . .

لا يمكنُ اعتقالُ الضوءِ . . .

والبرقُ أكبرُ منْ أنْ يوضعَ في زجاجةٍ!

على أطرافِ الأصابعِ تابعتْ خطاها بتؤدةٍ . . .

أغلقتْ البابَ وراءَها بحذرٍ ودخلتْ إلى الصفحةِ الثالثةِ . . .

كان عتاباً حانياً . . .

أي رجلٍ هذا الذي لا يعرفُ إلا أنْ يموتَ فيها وحينَ اختلطتْ الأمورُ ولمْ يعدْ هناكَ من فارقٍ بين القتيلِ والقاتلِ فقد تساويا في الجريمةِ كانتْ تقرأُ كلماتِهِ :

هذه رسالةٌ قلّما تتكررُ لامرأةٍ يستحيلُ أن تتكررَ هي أنتِ . . .

منذ ساعتينِ وأنا أعملُ عليها . . .

كدودةِ قزٍّ أقسمتْ أنْ تأكلَ الداليةَ كلّها أَعملُ . . .

كنملةٍ ترى الشتاءَ قابَ قوسينِ أو أدنى أعملُ . .

كإبَرِ صوفٍ جدتِي وهي في سباقٍ مع الشتاءِ أعملُ . . .

منذ ساعتينِ وأنا أحاولُ أنْ أجدَ كلماتٍ تليقُ بجمالِ عينيكِ وبمستوى جنوني بكِ ولكنني فشلتُ فلماذا تصرّينَ على أن تكونِي أكبرَ من لُغتِي ؟!

منذ ساعتينِ وأنا أُحاولُ أن أمزجَ الحبَّ بالعتبِ . . .

كم هوَ قلبي كبيرٌ لكِ وكم هو وقتكِ ضيّقٌ عليَّ . . .

كم هو باردٌ الكونُ حين لا تكونينَ معي . .

أَجزُمُ أنهم أخطأوا بحسابِ الفصولِ حين تجاهلُوا أنكِ حين تبتسمين يأتي الربيعُ . . .

ابتسامةُ شفتيكِ هي التي تعطي الياسمينَ شرعيتَهُ . . .

هي التي تهِبُ زهرَ اللوزِ بياضَهُ وزهرَ الليمونِ حضورَهُ

وأنكِ حين تحزنينَ تمطرُ السماءُ فما المطرُ إلا صدى الدموعِ على خديكِ . . .

وأنكِ حينَ تهمّين بلقائي يأتي الصيفُ دفعةً واحدةً . . . وحين تودعيني تتعرّى الأشجارُ إيذاناً بقدومِ الخريفِ!

من صفحةٍ إلى صفحةٍ قضتْ ليلتَها . .
دخلتْ مسامَ الكلماتِ لتصبحَ آخرَ الليل حرفاً آخرَ في أبجديتِهِ . .
كم ماتتْ انتظاراً لحبٍّ ظنَّتْ أنَّه لن يأتيَ
ما أجملَ المطر حينَ يتأخرُ!
ما أجملَهُ حينَ يعزفُ على أوتارِ الروحِ قطرةً قطرةً يمتصُّ الأرضَ العطشَى بدلَ أنْ تمتصَهُ وكأرضٍ عطشى شربَتْها كلماتُهُ . . .

أغلقَتْ دفترَهُ ووضعتْ رأسَها على وسادتِها وضمّتْ الدفترَ إلى صدرِها بكلِّ ما فيها من جوعٍ وانتظارٍ لحبٍّ تأخّرَ كثيراً في المجيءِ . . .
ولكنّ النساءَ يعرفنَ أنَّ الحبَّ الحقيقيَ كالموتِ ؛ مهما هربنَ منهُ فإنهُ آتٍ مهما طالَ النشيدُ . . .
الحبّ الحقيقيُّ ليسَ لهُ عنوانٌ ، أو صندوقُ بريدٍ ، أو ملامحُ وجهٍ ، أو نبرةُ صوتٍ ، أو موعدُ مجيءٍ . . .
ولكنهُ حين يأتي نستسلمُ لهُ بسكينةِ الروحِ حينَ تستسلمُ للموت!
وقبلَ أنْ تستسلمَ للرقادِ كانتْ تسترجعُ طيفَ الكلماتِ ولكنها كانتْ تشعرُ أنها بحاجةٍ إلى النسيانِ لا إلى التذكرِ! غيرَ أن

بعضَ الرجالِ يسكنونَ ذاكرةَ المرأةِ التي تحبُّهم كوشمٍ لا تستطيعُ منهُ خلاصاً . .

وحينَ استيقظتْ صباحاً قررتْ أن تفتحَ نافذةَ القلبِ للمطرِ مرةً أُخرى ليغمرَ الرذاذُ أطرافَ القلبِ . .

كلَّ ثانيةٍ وأنتَ حبيبي
كلَّ ثانيةٍ والأسودُ في عينيك يأمنني
يشبهُك الزيتونُ والغاباتُ خصلةٌ من شعرِكِ
اقتليني من الحبِّ فقد مرضتُ بكِ
والعمرُ المتبقي لا يتسعُ لأشفى نفسي منكِ

فشعرَتْ بعدَها كأنّها خارجةٌ من حمامِ بخارِ الكلماتِ وأحسّتْ أن شعرَها يقطرُ أبجديةً .

غادرتْ سريرَها بسرعةٍ . .
قامتْ بطقوسِها الرتيبةِ التي تمارسُها كلّ يومٍ ومضتْ إلى فخٍّ الحبِّ في عينيْهِ . .
وكان هو طيلةِ اللّيلِ يغرفُ – بغريزةِ من دفنَ روحَهُ بينَ المفرداتِ

- أنّها تقرأُ . . .

وكانَ يحسدُ الكلماتِ لأنّها مضتْ إلى مرقدِها الأخيرِ في عينيْها . . .

ما أشهى أن يعرفَ مَن كتبَ المفرداتِ أنّها ذاهبةٌ إلى صندوقِ البريدِ الذي تمنّى طويلاً أن تصلَ إليه . .

كانتْ هذه أسعدُ لحظاتِ حياتِهِ مذْ سقطَ بالضربةِ القاضيةِ بكحلِ عينيْها . .

كمْ كانتْ أنانيةً كلماتُهُ إذ مضتْ إلى عينيْها دونَ أن تصطحبَه . .

نفضَ عنه كسلَهُ الصباحيٍّ اللذيذ ومشى إلى قنبلتِهِ الموقوتةِ التي تسكنُ صوتَها .

بتحيّةِ الصباحِ الرتيبةِ بدأَ اللقاء ثمَّ خيّم الصمتُ .

اقتاتَ كلٌّ منهما ما أمكنَهُ من وجهِ الآخرِ ثمَّ سحرَها صمتُهُ وأغراها بالبوح

- سحرتْني كلماتُكِ

- لم تكنْ كلماتي سوى هلوسةِ مسحورٍ مرّ يوماً بعينيكِ

تورّدَ خدّاها خجلاً وقبلَ أن تستعيدَ لذّةَ الصمتِ مرةً أخرى قال لها : أحبك . . .

تحولتْ وقتذاك إلى قوسِ قزحٍ وتناوبتْ بشرتُها على سرقةِ ألوانهِ وبصوتٍ خافتٍ تعجزُ الأذنُ عن التقاطِ ذبذباتِهِ همستْ لهُ :

وأنا أحبك

ثمّ تعانقتْ العينانِ عناقَهما الأولَ بعد أن عرّى هذا البوح نظراتِهما المتبادلةِ من وشاحِ التردّدِ!

شعرتْ أن الكرةَ الأرضيةَ ضيفةً عليها ؛ وأنّ ثوبَ فرحتِها سيبدو فضفاضاً ولو لبسهُ الكونُ كلّهُ . .

وشعرَ هو أنَّ الكحلَ في عينيْها أعطى كلماتِهِ شرعيةَ البوحِ وأخرجَ حروفَهُ من شرنقةِ عزلتِها وأنه صارَ من الآن فصاعداً بإمكانِهِ أن يغازلَ المجرّةَ . . .

فقبلَ أن تباركَ حياتَهُ بهذهِ الحروفِ الأربعةِ (أ . ح . ب . ك)

كانتْ كلماتُهُ صراخاً لا يتجاوزُ حدودَ الشفتينِ

أمّا وقد قالتْها فقد صارَ بإمكانِ المفرداتِ امتطاءَ زرقةِ البحرِ . . .

صارَ بإمكانها أنْ تعانقَ شجرَ الأرصفةِ . .
أن تحملَ المطرَ وتنثرَهُ زخّةً هنا وزخّةً هناك . .

غريب . . كيف تحوِّلُ كلمةٌ واحدةٌ تقولُها امرأةٌ رجلاً من كائنٍ ترابيٍّ طولُهُ مئة وثمانون سنتمتراً إلى كوكبٍ عملاقٍ تدور في فلكِهِ الكواكبُ الأخرى . .

كلمةُ أحبك التي قالتها نفخت فيه الرّوحَ بعدَ أنْ كانَتْ كلُّ نظرةٍ في عينيْهَا دعوةً مغريةً للموتِ . .

وافترقَا دونَ أن يعرفَ أيٌّ منهما عددَ الدقائقِ التي أمضياها في الاعترافِ
بعض الدقائق لا نلتفتُ لطولِهَا فإنَّ عرضَ الأحداثِ فيها يجعلُها محطةً لا تُنسَى من محطات حياتنا . .
دقائق قليلةٌ كانت كفيلةً لتصحح مسارَ سنواتٍ من الموتِ انتظاراً ولترسمَ ملامحَ سنواتٍ ستأتي معطرةً برائحة القرنفل ومخضبة بلون ورديّ لشيء اسمه الحبّ!

وافترقا بعد ذلك كثيراً لأنهما التقيا كثيراً . . . .

وفي كلٍّ مرَّةٍ كانَا يلتقيانِ ويفترقانِ كان يعودُ إلى دفترِهِ ليكتبَ كلماتٍ وُلِدَتْ من رحمِ الكحلِ في عينيْها . .

كان كحلُهَا موتَهُ وكانت نظراتُها تسجيه وحين ترمشُ يشعرُ بأنّ كفناً أُلقِيَ عليهِ وغيّبَهُ . . .

وحينَ يفرغُ من الكلماتِ كانَ يشتهي العودةَ إليهَا فلقدَ عرفتْ كيف تربطُهُ بالحبلِ السّرّيِّ وتشدُّهُ إلى صرّتِها . .

وحينَ كانت تفارقُهُ كان يسكنُها حمّى امرأةٍ تريدُ أن تعرفَ ماذا فعلَ رجُلُها في غيابِها . .

كانت تسترجعُ لقاءها كلَّهُ . .

لحظةً لحظةً تعيدُ شريطَ الذاكرةِ وتوقفُهُ على أحبِّ اللحظاتِ إلى قلبِها . . .

- كيف حالُكَ ؟

- مسكونٌ بصدى ضحكتك ككلّ يوم

- أعتذرُ لقدْ تأخَّرْتُ سبعَ دقائقَ

- كم هي موحشةٌ الدقائقُ بدونك

- ماذا فعلتَ اليومَ ؟

- كنتُ أعدُّ اللحظاتِ لحين ألقاكِ

- صوتُكِ كانَ حزيناً البارحةَ

- كلُّ خلاياي تكونُ حزينةً حينَ أبتعدُ

- كمْ أحبك

- أنا أحبك أكثر

- أفكِّرُ في قصٍّ شَعرِي

- إيَّاكِ أنْ تقتربي من أشيائي

- ماذا كتبتَ البارحةَ

سعيدٌ أنا بدونكِ . . ارتشفْتُ قهوتِي المرّةَ بسعادةٍ غامرة ؛ تخيّلي لم أنتبهْ لغيابِكِ كتبتُ قصيدةً أيضاً نسيتُ أن أجعلكِ فيها .

يا لخيانتِي عثْرتُ بينَ دفاترِي على وردةٍ حمراءَ ولكنْ لم أتذكرْ بأنّكَ من علّمني تجفيفَ الوردِ هلْ صدّقْتِ حقّاً كلّ ما وردَ من كذبٍ أعْلاه

- مجنونٌ أنتَ

- مجنونٌ بكِ

كانتْ ذاكرتُها تعملُ كحجرِ رحىً لا يتوقفُ كلّما وصلَ إلى نقطةِ البدايةِ بدأت دورةٌ أخرى من دورانِ الذاكرةِ المشحونةِ

برائحتهِ . . .

بصوْتِهِ . . .

بكلماتهِ . . .

بلونِ عينيْهِ . . . .

وكانا بأعماقِهِما يعرفانِ أنّ شيئاً ما سيحدثُ فهذا القَدْرُ من التوحّدِ في الآخرِ كان شيئاً غريباً على قلبينِ اعتادا على الخفقانِ بتؤدةٍ وعلى ضخِّ الدّمِ بسكينةٍ ، فالقلبُ بغيرِ الحبِّ ليسَ سوى عضلةٍ تُزوّدُ الخلايا الأخرى بالدّمِ المشبَّعِ بالأوكسجينِ لِتُجبرَها على التّنفسِ .

هذا الحبُّ كان شيئاً غريباً على أجسادٍ لمْ تعرفْ من قبلُ أنّ النظراتِ بإمكانِها أنْ تشطرَ الذاكرةَ إلى ألف جزءٍ . .

ليسَتْ الذّراتُ هي معجزةُ الانشطارِ الوحيدةِ فالذّاكراتُ قابلةٌ للانشطارِ أيضاً . .
النظراتُ تشطرُ الذاكرةَ وتحوّلُ صاحبَها إلى قنبلةٍ هيدروجينيةٍ حيّةٍ لا يمنعُها من التشظّي عطراً سوى قبلةٍ لنْ تأتي!

هذا الحبُّ كان شيئاً مفارقاً للعادةِ ومتمرّداً على مسارِ حياةٍ كانت قبلَهُ مفعمةً بالمللِ ومشبعةً برائحةِ الرّطوبةِ التي يصنعُها روتينُ الأشياءِ والحواراتِ والوجوهِ والنظراتِ والابتساماتِ التي تتكررُ كلَّ يومٍ . . .

كانا يعرفانِ أنّ يداً ثقيلةً ستُحْكِمُ قبضتَها حولَ عُنُقِ حُبِهما, وهذا ما كان يُفسِدُ عليهِ مُتعةَ اللّونِ الأسودِ في عينيها ويُفسِدُ عليها النّار والثّلجِ في كلماتِهِ . . . .
غريبٌ هذا الحبُّ كيف يكونُ ثلجاً وناراً في آنٍ معاً . .
وكيف يكونُ صيفاً وشتاءً في لحظةٍ واحدةٍ . . .
وكيفَ يكونُ حريّةً وعبوديةً بين شهيقٍ واحدٍ وزفيرٍ واحد .
مُذ التقيا دون سابقِ موعدٍ أو معرفةٍ وهما يتحايلانِ على الوقتِ ويسعيانِ للتآمرِ على اللّحظاتِ وفي أعماقِهما كانا يعرفانِ أنّ

اللّحظةَ التي سيكشفانِ فيها سذاجةَ المسعى لنْ تتأخّرّ كثيراً . . .

كانتْ أصابعُها تسترجعُ طعمَ أصابعِهِ حينَ اتصلَ بها ليُخبرَها بأنّهُ بعدَ يومينِ عليهِ أنْ يُسافرَ .

في لحظةٍ واحدةٍ شعرتْ أنّها خسرتْ اللّعبةَ بالضربة القاضية .
حاول أنْ يُهدِّئَ منْ روعِها . . .
وقالَ لها كثيراً وقتذاك . .
قالَ أنَّ عاماً واحداً سيكونُ موحشاً وكئيباً بدونِ عينيكِ ولكنّهُ فترةٌ قصيرةٌ جداً ولا تسمحُ لأشفي نفسي منكِ .

وتركَها بعدَ ذلكَ حبيسةَ صوتِهِ ومضى إلى دفترِهِ ليوثِّقَ طقوسَ الموتِ .

حانَ موعدُ الرحيلِ
عمّا قليل تأخذين عينيك مني وتمضين
تأخذين شفتيكِ مني وتمضين

تأخذين آثارَ أقدامِكِ من رمالِ ذاكرتي وتمضين
تأخذين التقاويمَ الميلاديةِ والهجريةِ وتمضين
تتركيني مريضاً بك وتمضين
لو كنتِ تعلمينَ كمْ أحبك
أكنتِ تتركيني وتمضين؟
حانَ موعدُ الرحيلِ
يتركُني الوقتُ الآثمُ دونَ عينيكِ ويمضي
لا تتركيني أموتُ وحدِي
خذيني معكِ
علّميني أبجديةَ المراكبِ
علميني مساراتِ الكواكبِ
علميني العدَّ على أصابعِكِ
وعندما أجيدُ العدَّ إلى العشرةِ
علميني العدَّ على رمشيكِ

حتّى قبلَ أن ألتقي بكِ . . . كنتُ أحبك!
كان في داخلي شيءٌ لا ينامُ وهو أنتِ
عمري قبلَكِ كان لحظاتٍ أنفقتُها في انتظارِكِ

ويوم اتيتِ لمْ أرَ في عينيك كلَّ الغموضِ الذي رأيتُهُ
في عيونِ اللواتي مررْنَ بي قبلَكِ
وكأنّي أحببتُكِ من قبل!
وكأنّ على شفتيكِ من قبلُ صُلِبْتُ
ورموشُكِ كانتْ تحملُ بعضاً من قطراتِ دمِي
وكأنّي برمشيكِ قبلَ اليومِ قدِ انذبحْتُ

كنتُ أستيقظُ كلَّ صباحٍ وأتفقدُ قصائدِي كأنّي أتفقدُكِ
ليستْ قصائدِي جميلةً بقدرِ عينيكِ
كلُّ كتاباتي قبلَكِ كان ينقصُها أنتِ كي تصير قصائدَ
كلُّ شيءٍ كانَ أنتِ
لا مقياسَ للوقتِ سوى رفةِ رمشِكِ
لا وزنَ للشعرِ سوى إيقاعِ خطواتِكِ
كلُّ شيءٍ فيكِ كان لي . . كان أنا
جننتُ بكِ . . . والعقلُ ينتهي حينَ يبدأُ الحبُّ
ولقد أحببتُكِ!

صبيحةَ اليومِ التالي التقيا . .

كانتِ النظراتُ باردةً والأصابعُ صقيعاً والشفاهُ منهكةً. فقد كانتْ طوالَ اللّيلِ تتمتمُ بكلماتٍ تُريدُ أن تقولَها ولكنَّ كلَّ الذين جرّبوا الحبَّ قبلَها اكتشفوا أن كلّ البروفاتِ التي يقومونَ بها منعاً للارتباكِ تذهبُ سدىً حينَ يصبحونَ على خشبةِ المسرحِ وحينَ ترتفعُ الستارةُ كاشفةً لونَ العيونِ التي تستعمرُهم .

الشيءُ الوحيدُ الذي بقيَ من طقوسِ البارحةِ هي كلماتُهُ فجلسَ قُبالَتها وسكتَ كلُّ شيءٍ إلا ثلاثةً :

الأسودَ في عينيها والبنيَ في عينيهِ والكلماتِ .

وأخذَ يقرأُ وكلّما أوغلَ في الوداعِ كان الدمعُ يتكاثرُ في عينيها كما تتكاثرُ قطراتُ المطرِ في رحمِ غيمةٍ .

كانت تصيبُهُ بالارتباكِ فكيفَ يقيمُ رجلٌ علاقةً طبيعيةً مع عينينِ مدججتينِ بالكحلِ والدّمعِ .

مخضبةٌ بالدمع كوردةٍ لمْ تستطعْ شمسُ الصباحِ أن تبخّرَ كلَّ ما

اقترفهُ المطرُ من رذاذٍ .

وكـان هو يشـعـرُ بأنّ الجـملةَ القـادمـةَ سـتـخـرجُ من حنجـرتِهِ مصطحبةً روحَهُ فكانَ من العدلِ لكليهما أنْ يتوقفَ .

جذبت الدّفترَ من يدِهِ ومضَتْ . . . .

كسفينةٍ ابتلعَها مثلثُ برمودا كانت تتخبطُ على غيرِ هدىً . . .

تمشي . .

تترنّحُ ولم تستيقظْ إلا معي تبحثُ عن مفتاحِ البابِ . .

دخلتْ غرفَتها . .

ألقتْ برأسِـها على ذات الوسادةِ التي لمْ تكفّرْ عنهـا إثمَ دموعَ الليلةِ السابقةِ بعدُ . . . .

وموتاً أخذَتْ تقرأُ . .

كـفنٌ هي مـفـردات الوداعِ وقـبلَ أنْ تغـيـبَ في البـيـاضِ كـان يحادثُها . .

سأحمل عينيكِ معي . . .

سأضع الكحل في الحقيبة

قد أنسى شيئاً من أشيائي
ولكني لن أنسى حرفاً
لن أنسى همساً
لن أنسى موتاً كان اسمه عينيكِ

جمعَ كلَّ ما استطاعَ من ذكرياتٍ وحنينٍ ومضى إلى هناك .
هناكَ يبعدُ عن هنا عاماً واحداً . . .
سيكونُ فيهِ من الوقتِ ما يكفي ليموتَ في الدقيقةِ ستينَ موتاً . . . .

هناكَ سيبدأُ تقويمٌ جديدٌ اسمُهُ الشوقَ بلْ إنّهُ قد بدأَ فعلاً . .
وكانتْ الأسئلةُ تتراكمُ في ذهنِهِ كما تتراكمُ الأشياءُ . . .

سيكونُ موغلاً بالوحدةِ حتّى العظمِ وموحشاً بالافتقادِ حتّى النّخاعِ ، ولمْ يكنْ يملكُ ما يواجهُ بهِ كلَّ هذا غيرَ صوتها الذي وعدتْهُ بأنّهُ لنْ ينقطعَ ودفتراً وقلماً وكثيراً من الذكرياتِ .

مضى نهارُ اليومِ الأولِ سريعاً فالوجوهُ الغريبةُ هناك امتصّتْ

شيئاً من الشوقِ . غيرَ أنّ اللّيلةَ الأولى كانتْ مفعمةً بالوحدة ، والمفرداتُ خانتْهُ كعادتِها كلَّ مرةٍ يحتاجُ إليها .

ولكنّه استيقظَ مع الفجرِ . .
لمْ تكنْ الأشياءُ قد شربتْ ضوءَ الشّمسِ بعدُ . . .
أعدَّ فنجانَ قهوتِه واستمتعَ بطقوسِ البُنِّ وهوَ يُعاقِرُ اللّهبَ تحتَهُ وبرغبةٍ دفينةٍ في تعذيبِ الأشياءِ حولَهُ جعلَ القهوةَ تغلي أكثرَ من المعتادِ .

على الشّرفةِ المطلّةِ . . على شارعٍ كان ينعمُ بإجازتِهِ من أحذيةِ المارّة ، صبَّ القهوةَ في الفنجانِ وجعلَهُ يختنِقُ من أخمصِ قدمِهِ إلى رأسِهِ . .
أمسكَ قلمَهُ ليكتبَ أولى الكلماتِ المشربةِ بالغربةِ . .

أعانق فيك كل الذين أحببتهم ورحلوا
أعانق تبغ جدي والبئر الذي لم يكتمل
أعانق ذاكرة جدتي المشحونة بالقمح والياسمين
أخذت كل شيء .·. . ورحلت

أقف على باب عينيك كمن يقف على باب منفى
مذ عرفت أن عينيك منفاي وأنا متيم بالمنافي

حتى قبل أن ألتقي بك . . . كنت أحبك!
كان في داخلي شيء لا ينام وهو أنت
عمري قبلك كان لحظات أنفقتها في إنتظارك
ويوم أتيت لم أرَ في عينيك كل الغموض الذي رأيته
في عيون اللواتي مرَرْن بي قبلك
وكأني أحببتك من قبل!
ورموشك كانت تحمل بعضاً من قطرات دمي

كنت أستيقظ كل صباح وأتفقد قصائدي كأني أتفقدك
ليست قصائدي جميلة بقدر عينيك
كل كتاباتي قبلك كان ينقصها أنت كي تصير قصائد
كل شيء كان أنت
لا مقياس للوقت سوى رفة رمشك
لا وزن للشعر سوى إيقاع خطواتك
كل شيء فيك كان لي . . كان أنا

جننت بك . . . والعقل ينتهي حين يبدأ الحب
ولقد أحببتك

حاولت كثيراً أن أهرب منكِ
حـاولتُ أنْ أجـعل من مـواعـيـدي مـعك مـواعـيـداً على قـارعـة الانتظار
ولكنني كنت أذهب رغماً عني
كنت أذهب دون وعي مني تماماً كمَن يسير أثناء النوم
ولكنـك كنت في النـهـاية كـيـوم الولادة تاريخـاً لا يمكن الرجـوع قبله
حاولت كثيراً أن أتوقف ولكنني ما استطعت
كوكباً صغيراً كنت أنا
وكنت أنتِ مَجرةً متغطرسة تحكم الكلّ بالجاذبية

كنت عندما أنظر في عينيك وأتحدث
يُخيّل إليّ أني كمَن يتلو وصيته الأخيرة
كم تشبهين الموت
لا تحفلين بأحد! حتى بالذين أفنوا عمرهم بانتظارك

أيامي قبلك كانت عمراً من الموت والظلم أو الانتظار
كنت ممتلئاً بك كسنبلة حبلى بالقمح
وعيناك كانت تجيد اقتلاع السنابل
يذهب العقل حين يأتي الحب . . . وما زلت أحبك

بعدَ ذلك ركبَت الأَيامُ ظهرَ سلحفاةٍ تحترفُ السَّير على مهل . . .
وعلى مهلٍ أنهَكَهُما الحنين . . .
والليالي المشربة بالأرق . . .
وتعطَّل كل شيء . . .
لمسات الأَصَابع . . .
الجفون المخضَّبة بالكُحلِ . . .
الشِّفَاه الجَائعَة . . .
كلُّ شَيء تعطَّل . . وحدهَا الأَصوات كانت تمارس هذا الحب المؤجل ، وحين تسكتُ الأَصواتُ كانت الكلماتُ تهزأ بالمسافة

يقودني القلبُ إليك
يركبُ النَّبضُ ظهرَ المفردات

ولكنَّ الطرُقَ مولاتي تخون

كم أَكره الطرق لأنها تفصلني عنكِ

أترى لو عرَفَت الطرقُ كم أحبك

أكانتْ تقفُ عثرةً بيني وبينكِ في منتصف الطريق

وكانت تؤرِّخ أَيامها بالوجع ، وبصندوق البريد المتخم برسائله التي هزمت برد المسافات

مساء الحب حبيبتي

مساء الموت بقدر ما مت بعدك

مساء الشوك بقدر ما مشيت على الشوك بعدك

مساء الانتظار بقدر ما تأَخرتِ في المجيء

مساء الولع

مساء الوله

مساء الذكريات التي تأكلني شوقاً إليك

مساء أشياء كثيرة

لا تتسع لها المسافات الفاصلة بيني وبينك

وحينَ مرضَ هناك كان طيفُها يداويه يناوله حبة الدواء ويعدُّ له شراباً ساخناً . . . وكانتْ تداويهِ الذِّكريات

كانت الغُربَة ثقيلةٌ جداً ولكن الأَيام مهما كان طعمُها فإنها كالأنهار لا يمكن أن تتخلى عن غريزة الجريان!

وحينَ بدأَ العدُّ العكسي في الأسبوع الأَخيرِ تكاسلَ الوقتُ كما لم يفعل من قبل ، وعقارب الساعة أخذت تمتهنُ التعذيب

وفي المطارِ سَألوه إلى أين فأجابَ دونَ وعيٍ إلى عينيهَا أعود!!!

في حضرة فاطمة

قالتْ جدتُكَ وهيَ تقصُّ عليكَ سِفرَ البداية :
ذاتَ مساءٍ شرقتَ بحليبِ أمكَ
فقالتْ النسْوة الحاضِراتُ وقد اتخذنَ متكأً :
كم هو شَرِهٌ هذا الصّبي!
فقالتْ أمكَ وقد حضنتكَ بعنفٍ :
إنَه يحبني حتى الاختناق!

.

.

السابعة صباحاً : تُقررُ أن تُقلعَ عن الكتابة
السابعة والربع : تتفقدُ دفترَ مِسودتكَ فالمجرمُ دوماً يعودُ إلى مسرح الجريمة
يقولون أنّ القتلة يعشقون وجوه ضحاياهم

فلماذا تشعرُ أنتَ أنكَ تكرهُ كلّ هذا الكمِّ من الصفحاتِ الملوثة بالحبر

اجتراحُ الكتابة كارتكاب الجرائم بحاجةٍ إلى دافعٍ وأداةٍ فقط!
غير أنّ الكُتّاب ينجون دوماً من حبل المشنقة
الكلماتُ حمّالاتُ أوجهٍ
وليستْ كذلكَ الجثثُ المضرجة بالدم!

.

.

السابعة والنصف : ترتشفُ القهوة مع أمكَ وتتسكعُ باللونِ الأخضرِ في عينيها
تدركُ فجأة أنّه يلزمكَ خطوة واحدة لتكونَ عاقاً بشكلٍ رسميّ
وأنّ البِرَّ طريقٌ طويلة تقررُ كل يومٍ أن تمشيها ولكنكَ لا تفعل
البِرّ أكبرُ من تقبيلِ يدها كل صباحٍ
والجنّة أدنى قليلاً . . . عندَ قدمِها تماماً!
ولكنّك أيها العاقُّ لا تنزل

أغبياءٌ أولئك الذين رتبوا الأشياءَ من حولنا

كيف لم يجعلوها ساعة خامسة وعشرين تأوي إليها الأرضُ

من عناءِ دورانها حول محورها ؟!

كيفَ لم يجعلوها يوما ثامناً تتعلمُ فيه بقية أيام الاسبوعِ البلهاءَ

الانضباطَ على يديها

وما حاجة الناسِ للأهلّةِ لإثباتِ وفاةِ شهرٍ وميلاد آخر ، يكفي

أن تخرجَ إلى الشرفةِ قليلاً ليبدأ ميلادُ اللحظات ؟!

كيفَ لم يجعلوها فصلاً خامساً تستريحُ فيه بقية الفصولِ من

ركضها حافية طوال السنة ؟!

.

.

ودون وعيٍ منكَ تعتذرُ لها لأنكَ لم تسْتطعْ أن تكونَ ابناً يليقُ

بها

وبحنانها المُفرطِ في مواقف كهذه تمسحُ على رأسكَ

وتخبـركَ بأنكَ أفـضلُ بكثيـرٍ من أولادٍ ضـاقتْ بيـوتهم على أمهاتهم فأسلموهنَّ لدور العجزة . . .

وأنك أفضل من أبناء يُهاتفون أمهاتهم في الشهر مرة واحدة ، ليـسـألوهنّ كلّ مـرة ذات السـؤال الملعـون : مـا الذي يريدونه كـهـدية في يوم الأم ، ثم إذا جـاء اليـوم الموعـود اعـتـذروا عن المجيء!

فلا تعرفُ وقتها أكانتْ تواسي نفسها ؛ أم كانتْ تعزيك!

تصطحبها إلى الطبيبِ وأنت تنظرُ في ساعتك كي لا تتأخرَ عن دوام وظيفتكَ

وكانتْ إذا اصطحبتكَ لا تحملُ ساعتها

ما حاجة الأمهاتِ إلى ساعاتٍ ما دامت قلوب أبنائهن تنبضُ وأجفانهم ترفُّ

وحينَ تنادي عليكَ تتحشرجُ بألْفِ «أفٍ» يجبركَ الحياءُ على

وأدها في صدرك

بقيَ لديكَ شيءٌ من رمالِ الخجل تهيله على سوء أدبكَ!

وكُنتَ حينَ تنادي عليها ليلاً لترضعَ ، كانتْ توقظُ نومها وتشده

من أذنه حنواً عليكَ

.

.

وحينَ كَبرتَ قليلاً لم تكنْ تضربكَ إلا بعدَ أن توقِظَ لها كل

عفاريت رأسها

وإذا ضربتكَ ، ضربتكَ بقلبها لا بيدها!

مرّة واحدة جُنَّ جنونها عليكَ . . .

يوم هربتَ عن المدرسةِ وأحضروكَ صِفرَ اليدين بلا حقيبة ،

وكانوا قد أحرقوا القصباتِ حيث خبّأتَ حقيبتكَ

يومها ضربتكّ ، وضربتكَ . . .

ولما تعبَتْ عضّتْكَ في كتفكَ

.

.

جنِّياً على شكلِ بشرٍ كُنتَ
وكانتْ هي ترتأُ قلّةَ أدبِكَ بحُسنِ اعتذارها للناسِ
وتؤنبكَ في غُرفةٍ مُقفلةٍ خوفاً عليكَ من بطشِ أبيكَ

.

.

الثامنة صباحاً : ها أنتَ تكتبُ مرة أخرى مدفوعاً بذكرياتٍ
مُرّة صارتْ كالشهدِ لأنها شاركتْكَ بها!

.

.

في الثاني الابتدائي كان المعلمُ يكتبُ على السبورة
وكنتَ أنتَ مُستغرقاً بأحلام اليقظة كعادتكَ ، فصرختَ وكأنّكَ
وقعتَ
فسأل المعلمُ : من الحمارُ صاحبُ الصوتِ ؟
فضحكَ الأولادُ وأشاروا إليك

فأخرجكَ ، وصفعكَ على خدّك الأيمن ، ثم حمّلَك حقيبتك على ظهركَ وهو يقول لكَ «وعليها وعلى الفُلْكِ تُحملون» ، وألقى بك خارجاً

في البيتِ سألْتَ جدكَ ببراءة الأطفال : ما هي التي عليها وعلى الفلك يُحملون ؟

فقال لك : هي البهائمُ يا بني!

فانفجرتَ باكياً وهرعتَ إليها كعادتكَ حين تصبحُ الأرضُ أضيقَ من حذائكَ!

فأخذتْكَ في حضنها حتى بدأت الأرضُ تتسعُ شيئاً فشيئاً ، إلى أن أخذَتْ حجمها الطبيعي بين سائر الكواكب . . أفلتَتْكَ وفي المساءِ اندسّتْ بجانبك وداعبتْ فروةَ رأسِكَ كما يفعل الأغنياءُ مع قططهم المدللة ، وقالت لك : لا تعُدْ لفعلتكَ تلك .

.

.

ولكنْ على مَنْ ؟!

أسبوعٌ فقط! وصفعة أخرى على خدكَ الأيسرِ ، ولكن دون وجهِ حقٍّ هذه المرة

ولأنكَ كُنتَ تكره أن تكونَ مكْسَرَ عصاً ، اندفعتَ خارجاً من تلقاءِ نفسكَ

ورجمتَ غُرفة الصفِّ وحين انكسرَ الزجاجُ ولّيتَ على عقبيكَ

وفي اليوم التالي حضرَ الناظرُ وشدّكَ من أذنكَ ،

فسألته إلى أين ؟

فقال لكَ : إلى الإسطبل!

ورماكَ مع ثلاثةٍ آخرين لا تعرفُ إلى اليوم ما هي جنحتهم

لكثرةِ ما نادوكَ بحمارٍ وبهيمةٍ كنتَ تستغربُ لماذا لا ترعى كبقية أفرادِ جنسكَ

.

ومنها تعلَّمتَ كثيراً

تعلمتَ أن الكائنات الجميلة مثلها قد تتورط بإنجاب كائناتٍ قبيحة مثلك!

وأنّ البشرَ الذين يقومون أكثرَ من ثلثِ الليل لأنهم يؤمنون أن أجمل ما في الحياة الخلوة مع ربهم ، يختلفون كثيراً عن أولئك الذين يكتفون بالمكتوبات لأن الصلاة من شأنها أن تجعلَ الحياة أجمل ، حتى صلاتك تجارة!

وأنّ البشر الذين يهرعون إلى خالقهم في الصغيرة والكبيرة ، لا يشبهون أمثالكَ الذين يطرقون أبوابَ البشرِ متذرعينَ أنّ الدنيا دار أسباب ، حتى إذا صدّ الناسُ أبوابهم هرعوا إلى خالقهم كخطوةٍ أخيرةٍ من الأخذِ بالأسباب!

ليتكَ ترجعُ صغيراً مرة أخرى فتسلمها نفسكَ لتكتبكَ من أول السطر على مزاجها

ليتكَ ترجعُ ذاكَ الصبيّ الذي تُسرِّحُ له شعره

وتحلُّ أزرار زيِّه المدرسيّ حين يرجعُ إليها

وتمسِكُ قلمَ الرصاصِ معه كي لا يكتبَ الحروف أكبر مما

ينبغيوتضحكُ ملءَ قلبها حين يتلعثمُ بنون التوكيد وهو يتلو «لَنَسْفَعَنّ بالنّاصِيَة»
ليتكَ ترجعُ صغيراً فيتسعُ حضنها لجسدكَ وناصيتكَ معاً!

.

.

نقطة .

وأول السطرِ خيبة!

البِرّ أكبرُ من تقبيلِ يدها كل صباح

والجنّة أدنى قليلاً . . . عندَ قدمِها تماماً!

ولكنّك أيها العاقُّ لا تنزل

فنجان قهوة

في الحديقةِ العامَّةِ التي تختنِقُ بالراسخِينَ في اليأسِ ، العاطِلينَ عن الحبِّ والغضبِ ، وسَائِرِ الأشياءِ التي تجعلُ منهُم بشراً ، كانَ يمارسُ طقوسَ المرارةِ الصَّباحيَّةِ داخلَ فنجانِ قهوة!

كانَ على بُعدِ خُطوةٍ من إدراكِ العلاقةِ بين مرارةِ القَهوةِ والحياةِ حينَ راودته تلكَ التي تقرأُ خبايا الفناجينِ عن آخرِ ما تبقَّى في جيبِه!

ولأنَّه كان جاهلاً بتراتيلِ البُنِّ تراكمت الأسئلةُ في ذهنِه دفعةً واحدةً

هل بإمكانِ الشِّفاهِ أَنْ تُلملِمَ كل ما تبقَّى من إنسانٍ وتكتُبَه على حافَّةِ فنجانٍ لتقرأَهُ امرأةٌ أغلبُ الظَّن أنَّها لا تجيدُ قراءةَ الحُروف ؟!

هل بإمكانِ الأحلامِ التي شَاختْ من كثرةِ الانتظار أَنْ تتآمرَ على سجّانِها وتتسلل عبر نافذةِ القَهوة ؟!

إلى أيِّ حدٍّ تستطيعُ الآهاتُ التي نضِجَتْ وأينعَتْ لكثرةِ ما تسكّعَتْ تحتَ الشَّمسِ أَنْ تطالبَ بتحديدِ موعِد قِطَافٍ واضِح معتمدةً على فنجانِ قَهوةٍ أيضاً ؟!

أيستطيعُ الغضبُ أن يتمَاهى مع البُنِّ ويشيَ بصَاحبِهِ فيما ظَنَّ أنَّه لمْ يكُنْ سِوى ارتشاف ؟!

أتستطيعُ الروحُ التي تجرُّ انكساراتِها كالإثمِ خلفَهَا أَنْ تسْعَى مع فنجانِ قهوةٍ لقلبِ نظامِ الأَشياءِ حولَها ؟!

في غمرةِ هذيانِ الأسئلةِ التي كانتْ تقرَعُ بابَ الإجابةِ بأناملِ القهوةِ ، كانَ لا بُدَّ أن يقامرَ بما تبقّى لديه من قدرةٍ على الاحتفاظ بالأشياءِ التي تأكله من الداخِل ، وفي لحظةِ رغبةٍ عارمةٍ في استراقِ السَّمعِ لخبايَا الروحِ على لسانِ البُنِّ أسْلَمَها الفنجان

نظرتْ في الفنجـانِ ثمَّ في عـينيـهِ وكـأنَّها تقـولُ خُـذْ فنجـانكَ عنِّي ، ولكنَّ تاريخَ الغـجـرِ لم يُسـجَّل من قـبل أنَّ غـجـريةً انسحبتْ مِنْ سمفونية البنّ قبل إتمام مراسيم الفضيحة .

فـقـالتْ له : سـأقـرأُ عليكَ مـزامـيـرَ الطِّفلِ الذي نسـيتَ أَنْ تصطَحبَـه معكَ حينَ كـبرتَ! والوطنُ الذي لم تلتقِ به بعـد! سَأدُلّكَ من أينَ تنبعثُ رائِحةُ الحبرِ والدَّمع فيك ، وسأخبرك عن امرأةٍ أردت أن تقتلها ، فوجدتها صبيحةَ اليومِ التالي معلقةً على سياج نبضك! وسَتعرفُ على يديَّ كم مرَّةً وُلدتَ وكم مرَّةً مُتَّ ، وكيف تناسَخت الرُّوحُ فيك!

ولكنَّك ستقسِمُ لي بعدها بحقِّ القَهوةِ التي جمعتنا أنَّك لنْ تسمحَ لغجريةٍ بعدي أنْ تُراودك عن فنجانك!

كَتبتْ شفتاكَ أنَّكَ كبرتَ . . غير أنَّ طفلاً التقيتَ به منذ ستةٍ وعشرينَ عاماً نسيَ أَنْ يكبرَ معكَ ، ما زالَ في الرابعةِ بعد! أضِفْ عمرَهُ إلى عمركَ يكنْ الحاصِلُ أنتَ!

أراه يهربُ من عِقابِ أُمِّه - التي نهَته أنْ يقربَ إبريقَ الشَّاي السَّاخنِ ولكنّه طالبَ بحقِّهِ في الاتساع - إلى القَمحِ في حضنِ جدِّه ثم يغلق باب السَّنابل دونَه ويغفو .

وحينَ استنفذَ كلَّ قمحٍ قادرٍ على إيوائِه وجدَ جدَّه صبيحةَ اليوم التَّالي نائِماً دونَ سُعالٍ على غيرِ عادةٍ فقبَّله على عَجَلٍ بسذاجَةِ الأَطفالِ الذين لا يعرفونَ معنى القُبلةِ الأخيرة!

ولأنَّ جدَّه أحبَّه كثيراً فتحتْ له جدتُه القلبَ على مِصراعَيه ، وشرعتْ أمامَه نوافذ الحنين ، وقصَّت عليه حكايا التنور رغيفاً رغيفاً ، وقاسمته خبز المنفى وقالت له : اعرف مَن شئتَ ولكنْ لا تحبنَّ امرأةً سِواي .

غيرَ أَنَّ قلبَ الرَّجلِ فيكَ انقلبَ على قلبِ الطفلِ فيه وقررَ أن يخون!

وكَبرتَ وأحببتَ امرأةً عثرتَ عليها ذاتَ صباحٍ تبكي . . .
فتآمر الدَّمعُ والكُحلُ في عينيها عليكَ!
ولما صار حبها أكبر منكَ قررتَ أنْ تقتلها . . .

كم كنتَ أحمقاً إذ اعتقدتَ أنَّكَ بالكلماتِ يمكنكَ أنْ تقتلَ امرأةً ، فقد أخبرتكَ ذاتَ دمع أيضاً أنَّها لا تريدُ الرَّحيلَ غيرَ أَنَّ العيونَ السُّود يملكُها من يدفعُ أكثر! وأَنتَ لا تملكُ سِوى مهرِ قراءَةِ فنجَان!

كتبتْ شفتاكَ أنَّكَ طَاعِنٌ في الحياةِ والموتِ ، مُتَّ قبلَ أَنْ تُولدَ فالذين يُولدون بلا وطن يولدون في كفن!

ثم وُلدتَ يومَ اجترحتْ فيكَ أُمكَ معجزةَ الحياةِ ، ومتَّ يوم أهالوا التراب على جدك!

ووُلدتَ بشراً سَوياً من رحم ذكرياتِ جدتكَ ، ولكنَّهَا حينَ اشتمّتْ فيكَ رائحةَ رجلٍ قادرٍ على الخيانةِ قتلتكَ وماتتْ . . .

وُلدتَ يوم نفخَ الكُحلُ والدمعُ فيكَ الرُّوحُ ، ثمَّ مُتَّ بالدمعِ والكحلِ حيثُ ولدتَ

خذْ فنجانكَ عني فبَعدكَ حَرامٌ عليَّ قراءَةُ الفنَاجِين

باقة ورد

وردة مطر

كالمطرِ تأتينَ دونَ موعدٍ
كالمطرِ تذهبينَ دونَ موعدٍ
وأحياناً الا=أمرُ معكِ بحاجةٍ إلى استسقاء

وردة كراهية

أكرهُكِ
هذهِ ليستْ كلمة وجهتُها لكِ
هذه أمنية
لفرطِ ما أحبك أتمنى لو أكرهكِ

وردة مساء

مساءُ الحبِّ حبيبتي
مساءُ الموتِ بقدرِ ما متُّ بعدكِ
مساءُ الشوكِ بقدرِ ما مشيتُ على الشوكِ بعدكِ
مساءُ اللا مكان بقدرِ ما شرّدني جفنك
مساءُ الانتظار بقدر ما تأخرتِ في المجيء
مساءُ أشياءَ كثيرة
لا تتسعُ لها المسافاتُ الفاصلةُ بيني وبينكِ

وردة نار

عيناكِ توقدُني كخشبٍ في مدفأةٍ
وكلّما ترقبيني . . يشمُّ الناسُ فيّ رائحةَ الدخانِ
وكلُّ مَن يسلّم عليّ يشمّ في كفي رائحة الرماد
لم أعد أستطيعُ أن أخفيَ عن أحدٍ بأني أحبك
لا دخانَ من دونِ نارٍ
كيفَ لم أنتبه أني احترقتُ عندَ أولِ نظرةٍ !

وردة اعتراف

كنتُ أكتبُ عنكِ كي أفرّغَ نفسي منكِ
كتبتُ . . . كتبتُ . . . كتبتُ
ولكني اكتشفتُ في النهاية
أني كلّما كتبتُ عنكِ ازددتُ بكِ امتلاءً

وردة فضيحة

كلما أردتُ أن أكتبَ عنكِ كتبتُ بقلمِ رصاصٍ
هكذا يسهلُ عليّ محوَ جنوني بكِ
ولكنْ لغبائي نسيتُ أنّ الكلماتَ التي تكونين فيها
تحملُ رائحةَ الياسمينِ
ألهذه الدرجة تحبينَ الفضيحة!؟

وردة ضعف

ليلةَ أمس أقسمتُ ألا أموتَ بعينيكِ
حين رأيتكِ هذا الصباح
رغماً عني . . . متُّ

وردة استفهام

حينَ أكتبُ إليك تصبح ُخطوطُ الطولِ أسطرَ شوقٍ
الأشجارُ فواصل . . .
البحيراتُ إشاراتُ تعجبٍ . . .
الجبالُ علاماتُ استفهامٍ . . .
لماذا عليّ أن أستحضرَ الكونَ لأكتبَ لكِ رسالة

وأبقى أحبك

موت يومي بعينيك
شُنق بخصل شعرك
ذُبح برمشك
وأبقى أحبك . . .

حاولت كثيراً أن أستوعب أنوثتك
ولكني عبثاً أحاول
عيناك عود الكبريت الذي يضرم النار في جسدي
وأجمل لحظات عمري حين أكون مشتعلاً بفعل نظراتك!
وأبقى أحبك . . .

حين تلمسيني بأصابعك أخرج من ثياب بشريّتي
وأحلّق في فضاءات عينيك ككوكب مسكين محكوم بالجاذبية
لا أدري لماذا كلما دفنت رأسي بحضنك شعرت بأنّ الأرض

ضيقة!

ألأني ذائبٌ فيك ؟!

ألأنك تملكين عمري كله بسنواته وفصوله

بأشهره . . وأسابيعه . . وأيامه . .وساعاته . ودقائقه . . وثوانيه؟!

ألأنك طاغيـة الجمـال ومـوغلةٌ في الأنوثة إلى حـدٍ لا أستطيع استيعابه

وأبقى أحبك . . .

الآن وأنا بعيد عنك . . صمت ثرثار يحدثني عنك!

عن أيامي مـعك . . . عن دمي المسفوح برمشك وعبـثاً أعلّمـه السكوت

يريد صمتي أن يتكلم

أن يهمس في أذنك أحبك

كم هي موحشة الأيام بدونك

كم هي ثقيلة لحظات عمري عندما لا تكونين فيها

وأبقى أحبك . . .

صارت ابجديتي اكبر مني لأنها تكتبك!
كوني اقلّ جمالا كي اعانق لغتي
لن اخجل من لحظات احببتك فيها بجنون
حتى الانكسار . . .
حتى الضياع . . .
حتى كراهية نفسي لفرط ما أنا مجنون بك!
وأبقى أحبك . . .

أحبك رغم أنّ روحي خضعت لمصرعها عند أسفل جفنك
رغم قساوة رمشك . . .
رغم قيدك . . . أحبك
جمالك يكسر الريح والمطر
ينقلني من حلم إلى حلم وأنا تعبت من السفر
آن الأوان ان نلتقي
ان يعانق العود الوتر
وأبقى أحبك . . .

مشكلتي مع عينيك أني كلما أحرقتني أردتها أن تحرقني أكثر!

مشنقة الزيتون شعرك!

وطن النوارس جفنك

مرضي كحلك . . . وأبقى أحبك

أيا امرأة تقيم فيّ ولا ترحل

صار عمري بك أجمل

كم أعشق اسمي حين يخرج من فمك

الحروف الخارجة من فمك غير

صوتك غير . . .صمتك غير

وجهك غير . . عيناك غير

وطعم قبلاتك غير . . .

وأبقى أحبك . . . .

يا امرأة ممنوعة من النسيان

عيناك تقتل بلا سبب!

يوجعني رمشك ولكني أحبك حتى التعب!

يا امرأة تخلق الذكريات ثم تقتلها قبل أن تكتمل!

أداوي جروحي بأطراف صمتك

وأشعر أحياناً بأني أكرهك
هكذا أنا أكره كلّ نقاط ضعفي!
وعيناك أول نقاط ضعفي
وأبقى أحبك

جفنك مرفأ والسفن تأوي إليك
وأنا أغار عليك من الصدف
كوني لي وحدي . . .
كوني صوتي . . . كوني صمتي
كوني حياتي . . .كوني موتي
كوني شعري . . .كوني نثري
وأبقى أحبك . . . .

نبضات قديمة جداً

١

أنا لا ألومكِ على أيّ ألمٍ سببتِهِ لي
وحدهم الأعداءُ يتقاتلون بشرف
ونحن كنا مُجرَّد حبيبين!

٢

تسألينني : لِمَ تركتَ قلبكَ على جدارِ غرفتي
فأجيبك : أنا كـ جُحا أحتاج إلى مسمارٍ لأعود!

٣

كنت كل ليلة أشقُّ صَدري وأنادي :
أيها النَّاسُ من دخل قلبي فهو آمن
فدخل الجميع ووقفتِ أنتِ على العتبة وقلتِ :
اذهبوا فأنتم الطلقاء!

٤

حين رمى نفسَه في النار لينقذها قالت له :

أتريد أن تثبت لي أنك مجنون

قال : لا

أردتُ فقط أن أخبركِ أني أحبك حتى الاشتعال

٥

هل عليّ أن أقف بباب المسجدِ وأمدُّ قلبِي للناسِ

لتعرفِي أني فقيرٌ بدونكِ!

٦

اعترافي بأني أحبك هو اعترافٌ باطل

فقد كنتِ وقتها تنظرين إليّ

هذا بالضبط ما يسمونه اعترافٌ تحتَ التَّعذيب!

٧

إن اللهَ علّم آدم الأسماء كلها

وآدمَ علّم أبناءه

وأنا الولدُ العاق الذي لم يحفظ إلا اسمكِ!

٨

وتسألينِي بخُبثٍ : لمَ يفشلُ فنجان القهوة في إبقائي ساهرة

فأجيبك ببلاهة : القهوة التي تلمس شفتيكِ تدخلُ في غيبوبة!

٩

الحب الحقيقي هو ذاك الذي تحمله كالوشم في قلبك طول العمر

تماماً كما تحمل أثر طعم الجدريّ على كتفك!

١٠

ليس موحشاً دوماً أن تضعَ يدكَ على صدركَ
ولا تجد في قلبك أحداً!

١١

كلّ رجلٍ سيحبكِ بعدي سيبحثُ فيكِ عني
وكل امرأة سأحبها بعدكِ ستبحثُ فيني عنكِ
فقد تذكرنا أن نفترق
ونسينا أن نحزم الحقائب!

١٢

أنا لا أطلبُ كثيراً
فقط فنجان قهوة ليس فيه طعم غيابك
وحقيبة أتذكر أن أحزم فيها أغراضي وأنساكِ
ومطار محشو بغرباء لم يعرفوكِ يوماً ليعزونني!

١٣

قَالتْ لَه - وَهِيَ تَهُمُّ بالرَّحِيلِ - أَوْصِنِي
قَالَ : تَقْوَى الله ، وأَنْ لا تَمْشِي تَحْتَ المَطَرِ فَالسُّكَرُ يَذُوبُ فِي المَاء!

١٤

الَّذين يُحِبُّونَ الشَّايَ حُلواً يُضيفُونَ إليهِ سُكَّراً
أَمَّا أنا فَأَقُولُ لكِ : حَرِّكِيه بإصْبَعكِ

١٥

البعضُ لكثرةِ ما نَشتَاقُ إليهِم
نتمنَّى لو أنَّنا لم نَلتَقِ بِهِم يَوماً

١٦

لقد سَوّينا كلّ مشَاكِلنا العَالقة
بَقِي فَقط أنْ نَعرفَ مَنْ سيَدفَعُ دِيةَ فِنْجَانِ القَهوة
الذي اغتَالته شَفتَاكِ صَبَاحاَ

١٧

اخْتِرَاعٌ أحمقٌ كَعيدِ الحُبِّ
اعتِرافٌ رَسمِيٌّ أنَّ البَشَرَ يُمَارسُونَ الكَرَاهِيَةَ طَوالَ العَامِ
ويُخَصِّصُونَ للحُبِّ يَوماً
وكَأنّ الفَالانتاين يَجُبُّ ما قبله!

١٨

قبلَ قَليلٍ كنتُ أُمارسُ هِوايتِي القَديمة . . التَّفكيرَ فيكِ
سَامحينِي فقد نسيتُ أني نسيتكِ!

١٩

الماءُ في الرّكوةِ لا يغلي
إنّه يقفُ على رؤوس أصابعه محاولاً لمسَ أصابعكِ!

٢٠

أحقاً أنّكِ لم تطرقي بابي هذا الصّباح أيضاً
أم أنّ البابَ كانَ أنانياً
فقرر أن يشربَ صوتَ أصابعكِ وحده!

٢١

كلُّ عشّاقِ العالمِ يتنفسونَ وأنا أختنقُ بك!

٢٢

أتعلمينَ ما يقولُ لكِ فنجانُ القهوة ؟
مسكينةٌ لا يمكنكِ تذوّق طعمَ شفتيكِ!
أتعلمينَ ما يقولُ لكِ كوبُ الماء ؟
بي عطشٌ إليك!
أتعلمينَ ما يقولُ لكِ المشط ؟
اغرسيني في شعركِ أعمق
أتعلمينَ ما يقولُ لكِ الشتاء ؟
كوني مظلتي!
أتعلمين ما أقول لكِ أنا ؟
أكرهكِ ، أنتِ الشجرة المحرّمةُ التي ما كان عليّ أن أقربها
لو خصفتُ كل شجر الأرض فلن أواريَ سوأةَ اشتياقي لكِ!

٢٣

قلوب العاشقين كالأبواب الأصيلة

ليس لها إلا مفتاح واحد!

٢٤

في غيابك يمسح الكل على رأسي بشفقة

وحدهم عرفوا أني يتيم بدونك

ووحدي عرفتُ كم هو مؤلم أن أكون صدقة جارية!

٢٥

نجّارو العالم مجتمعين

لا يستطيعون إصلاح قلب مخلوع واحد!

٢٦

كل امرأة التقيتها بعدك أخبرتني من حيث لا تدري

أني لست سوى إناء فارغ ولا يملؤني إلا أنت!

٢٧

لأني أحببتكِ عن سابق إصرار وترصد سمّاني القانون الدولي

مجرم حب!

وأنا أقر بذنبي عساني أستحق عليه سجناً مؤبداً في عينيكِ!

٢٨

في غيابك أشرب نصف فنجان قهوة

أدخن نصف سيجارة

أكتب نصف نص

فقط لتعرفي أني بدونك نصف إنسان!

٢٩

عليكِ أن تتنفسي بوتيرة أسرع

فهواء هذا الكوكب بحاجة مُلحّة للتنقية!

٣٠

وينفقون مالاً طائلاً لتحلية مياه البحر

وأنا عبثاً أخبرهم أنه يكفي أن تضعي إصبعكِ فيه!

٣١

كل الطرقِ تؤدي إليك

فأنتِ إذاً كـ «روما» لا بدّ لها من حرق!

٣٢

الذين يناولونني فنجان قهوة فأعتذر عن قبوله لا يعلمون أني أحبُّ القهوة مُرة

وأنها يستحيل أن تكون مُرّة وامرأة حلوة مثلكِ في بالي!

٣٣

كانا جبلين متقابلين من الكبرياء

فمات حبهما وهما ينظران إليه

ولم يتنازل أحدهما ويمشي خطوة واحدة في وادي التنازل باتجاه الآخر!

٣٤

كَانَتْ تَسْتَغْرِبُ حُبَّه للشَّجَر
ولكِنَّهَا رَحلَتْ قَبْلَ أنْ يَقُولَ لَهَا :
لَوْلا الشَّجَرُ مَا نَزَلَ البَشَرُ إلى الأَرْضِ
ولَمَا التَقَيْتُ بكِ!

٣٥

يسألونني إن كنت أحبك فأسكت
فيقولون لي : استفتِ قلبكَ
وكأنه لي قلب في غيابكِ حتى أستفتيه!

٣٦

أعترفُ لكِ أن أجمل ما حدث لي كان أنتِ
وأسوأ ما حدث لكِ كان أنا!

٣٧

الحب الذي يتحول لكراهية لم يكن حباً منذ البداية

فالحب هو السلطة الوحيدة التي لا تستطيع الرعية الانقلاب عليها!

٣٨

الحب عاطفة نبيلة عيبها الوحيد نحن!

٣٩

متأخراً حضرتُ إليك لأني كنتُ أخاف أن أفقدكِ باكراً!

٤٠

أريد قلباً أكبر لأحبك كما يليق بك

٤١

حين تسجُدين أخبريني لأقبّل الأرض

فهي الطريقة الوحيدة المتاحة لي الآن لتقبيل جبينك!

٤٢

أنا أفعل كل ما في وسعي لأحضر
وأنتِ تفعلين كل ما في وسعكِ لتغيبي
نحن لسنا حبيبين . . نحن قطٌ وفأر!

٤٣

عندما تخطرين على بالي الليلة أيضاً
ذكريني أنه ينبغي أن أجتهد أكثر لنسيانك!

٤٤

كثرة الحديث عن الحب تعني غيابه فالناس يكثرون الحديث عما يفتقدون

ألا ترى معي أن الأرملة تكثر من ذِكر المرحوم ؟!

٤٥

حتى الهزائم على يديكِ لها طعم الانتصارات
تُرى ماذا كنتِ ستفعلين بي لو لم تكوني قليلة عقل ودين ومن ضلع أعوج ؟!

٤٦

وُلد الحب ليكون أعمى

وفي اللحظة التي يبدأ فيها برؤية العثرات الصغيرة هذا يعني

أنه بدأ يحزم حقائبه!

٤٧

للشِّعر وزنٌ لم يعترف به العَرُوضِيُّونَ بعدُ وهو إيقاع خطواتك!

٤٨

أنا على غيابكِ كعتبة بيت مهجور

كشرفة ملّت من الإنتظار

كباب بائس لم يعد يطرقه أحد!

٤٩

تسكنيني أعمق مما يجب

أكثر مما ينبغي

فوق ما أحتمل

تماماً كما أشتهي!

٥٠

أعدكِ أن أحبك حتى يومك الأخير
وأن أحفظ عينيك عن ظهر قلب
وأن أجعل الخطوط في يديك أسطر شوق أكتب فيها كلاماً
جميلاً لك
أنت عديني أن لا تأتي أبداً

٥١

توضّئي بين كلّ ركعتين فالماء في منزلنا عطشان!

٥٢

عندما تمسكين سبحتك تذكري حنيني لأصابعك
عندما تشربين تذكري عطشي إليك
عندما يمرّ طفل أمامك تذكري أن ابنك نسي من فرط حنانك
أن يكبر!

٥٣

أنت المسؤولة عن كثرة النمل في بيتنا يا سكر!

٥٤

نامي وَدَعي القمر يعتمد على نفسه وينير الأرض لوحده هذه الليلة!

نبضات قديمة جداً

هذا النص عبارة عن مقتطفات سبق نشرها في تويتر والإصدارات السابقة «خربشات خارجة عن القانون ، كش ملك» ولانتمائها لمضمون الكتاب ارتأيت أن أدرجها تحت هذا العنوان .

الكاتب . .

قميصِي كمَا هُو
قلبِيَ فقطْ على غِيابكِ قُدَّ مِنْ دُبرٍ !

دثرينِي إنِّي أرتجفُ
صَقِيعٌ عُمْري بدُونكِ ،
لقدْ باغتُكِ هذِه المَرَّة وأخبَرتُكِ عن حَالِي قبلَ أنْ تُعَاجلينِي بالسُّؤالِ !
سَئِمتُ سُؤالكِ المَعْهُود كلَّمَا افترَقنا : كَيفَ أنتَ ؟

كمْ مرَّة عليّ أنْ أقولَ لكِ لقدْ تهَاويتُ قِطعَةً قطعَةً
فلمْ يبقَ مني إلا أنتِ

.



